



مهرجان القراءة للجميع

2001



الجمال الأسود

تأليف: آنا سويل

مراجعة: مختار السويقي



دار النشر
بيروت - لبنان

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

الجمال الأسود

الجمال الأسود

لوحة الغلاف

اسم العمل الفني: الجواد الجميل
التقنية: ألوان مائية على ورق
المقاس: ٣٥×٢٥ سم

إذا تحدثنا عن حركة الجواد فإننا لابد أن نخوض في تعريفات كل حركة، ومن الحركات الطبيعية للجواد: حركة الخطوة الخيب والرمح، وحركة الخطوة أو حركة المشى، يكون فيها أحد أعضاء الجواد فى حالة ارتكاز، مع إجراء هذا الارتكاز بالتتابع لكل من قوائم الجواد الأربعة: الأمامية والخلفية بالتبادل. أما الخيب فهى حركة قفز قطرية، مع الارتكاز المتتابع للقوائم المتعارضة، وتفصل بين الحركات فترة زمنية للتقدم والرمح عبارة عن حركة تجمع بين الارتكاز والتأرجح مع الارتكاز بالتتابع، وكل خطوة من خطوات الرمح يفصلها عن الأخرى زمن اندفاع للأمام، ويختلف هذا الزمن باختلاف طول الخطوة وسرعة الرمح.

محمود الهندى

الجمال الأسود

تأليف: أناسـويل

ترجمة: هند عبد الفتاح

مراجعة: مختار السويدي



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العالمى للناشئين)

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

الجمال الأسود

تأليف: أنا سويل

رسوم: بارى دافيس

ترجمة: همد عبدالفتاح

مراجعة: مختار السويفى

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهنڊى

المشرف العام :

د. سمير سرحان

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب في المعرفة واقتناؤه غاية كل مشوق للثقافة مدرك لأهميتها في تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة، السيدة سوزان مبارك التي لم تبخل بوقت أو جهد في سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تلوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً ويسر في متناول الجميع ليصبح نهمة للمعرفة دون عناء مادي وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتركب في صدارة البيت المصري بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة في مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادي أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة، للعالم الأثري الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتلضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة، في (٢٠ جزء) .. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب في البيت المصري تتهل منه الأسرة المصرية زائداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً في عصر المعلومات.

د. سمير مرقح

هذه ترجمة لرواية،

BLACK BEAUTY

By: ANNA SEWELL

مقدمة

كثيرا ما لجأ كتاب أدب الأطفال على اختلاف لغاتهم إلى الحيوانات والطيور فى قصصهم. وليست قصص الطير والحيوان فى «كليلة ودمنة»، بعيدة عن الأذهان والتي تعد تحفة أدبية تزخر بالحكم والأمثال التى مازالت تحتل مكانة هامة حتى اليوم ومازالت قراءتها متعة للكبار والصغار.

وقد كان للأدب العربى أيضا نصيب فى هذا المضمار، ولأن العرب نبغوا فى فن الشعر العربى فلم يكن غريبا أن يسهم أمير الشعر العربى أحمد شوقى بديوان للأطفال يضم قصائد رائعة على ألسنة الطير والحيوان.

أما بالنسبة للأدب الانجليزى، فإن «الجمال الأسود»، تعتبر من كلاسيكيات أدب الأطفال ليس فقط فى بريطانيا ولكن على مستوى العالم. وهى من الأعمال ذات المغزى الأخلاقى الهادف، حيث كان لها أكبر الأثر فى إلغاء

مايعرف «بالزمام الكابح، الذى كان يعكس مشكلة أخلاقية فى سوء معاملة البشر للخيول بما كان يسببه هذا الزمام من معاناة للحيوان مثل صعوبة التنفس وآلام الرقبة وعدم الاتزان وقصر النظر وغيرها.

وعلى الرغم من أن الرواية تقدم سيرة ذاتية لحصان، إلا أنها تفيض بالمعانى السامية واللمسات الانسانية الدافئة.

نشرت رواية الجمال الأسود فى عام ١٨٧٧ م قبل وفاة الكاتبة بعام واحد، فى الفترة التى شهدت ظهور العديد من الحركات والجمعيات المدافعة عن حقوق الحيوان، بجانب الحركات النسائية والحركات المضادة للاستعمار، وحركات الإصلاح الاجتماعى. وعلى الرغم من أن كاتبة الرواية البريطانية المولد «أنا سويل، (١٨٢٠ - ١٨٧٨) لم تكن عضوا فى أى من هذه الحركات، إلا أن روايتها هذه جعلت سوء معاملة الخيل قضية عامة آنذاك. ويرى البعض أنها أسهمت عمليا فى الإقلاع عن الكثير من الممارسات السيئة التى سادت ضد الخيل مثل بتر ذيولها، واستخدام مايعرف «بالزمام الكابح، وكان استخدامه فى تلك الفترة مجرد موضة انتهت تماما فى نهاية القرن الماضى. وربما يرجع اهتمام «أنا سويل، بالخيول إلى أنها كانت تقود عربة يجرها الحصان

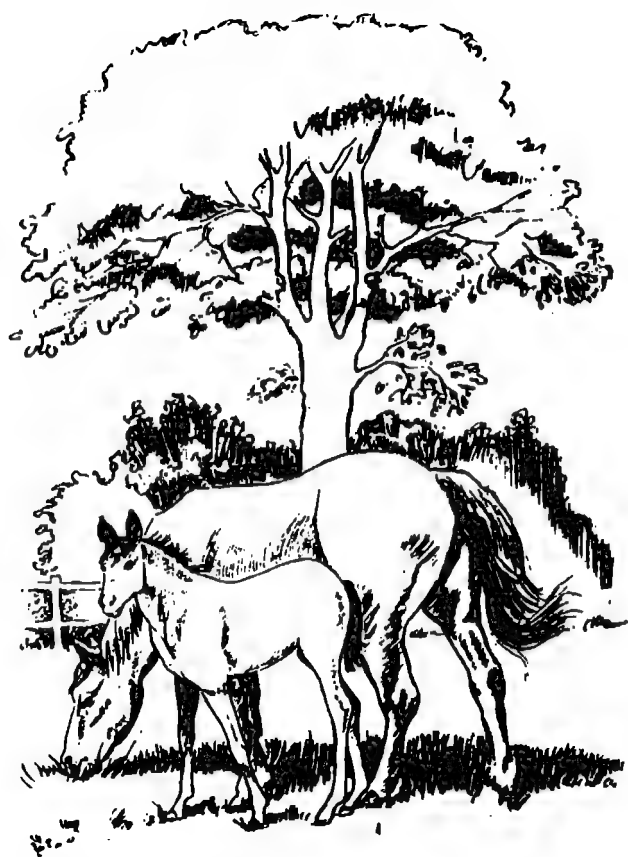
لتوصل والدها إلى مقر عمله يوميا، على الرغم من إعاقتهما التي كانت تسبب لها صعوبة في السير.

ويقول أحد النقاد بالرغم من أن «أناسويل، استهدفت بث الرأفة بالحيوان وخاصة الحصان في قلوب قرائها الصغار، إلا أنها كانت أكثر تأثيرا على القراء الكبار أيضا. كما يرى البعض أن الرواية هي صرخة ضد استرقاق البشر للحيوان.

بدأت علاقة «أنا سويل، بالأدب في مرحلة مبكرة من شبابها حيث كانت تقوم بتنقيح أعمال والدتها «مارى سويل، التي كانت هي أيضا من أشهر أدباء الأطفال والناشئين التي تحقق أعمالها أعلى نسبة مبيعات لما بها من لمحة دينية أخلاقية.

قدمت الرواية على الشاشة الفضية في أكثر من فيلم كان آخرها في ١٩٩٤ للمخرجة كارولين طومسون، وهو الفيلم الذي قال النقاد أنه أقرب معالجة سينمائية للنص الأصلي.

«المترجمة،



الفصل الأول

سنوات طفولتى السعيدة

عندما أعود بذاكرتى إلى أيام طفولتى المبكرة، أتذكر المروج الخضراء المنبسطة والبركة الصغيرة التى تظللها الأشجار الخضراء المورقة، وزهور السوسن الجميلة الطافية على صفحة الماء.

عندما كنت مهرا صغيراً كنت أضع لبن أمى لأننى لم أكن كبيراً بما يكفى لأكل العشب. كنت أجرى بجوار أمى طوال النهار وفى المساء أنام بجانبها.

فى الجو الدافئ كنا نقف بجوار البركة تحت ظلال الأشجار، بينما فى الشتاء نذهب إلى حظيرة دافئة بجوار بستان التفاح.



كان معى فى الحقل ستة أمهر أخرى، كنت أنا أصغرها
جميعا بينما كان بعضها كبيرا كالجياذ الياقة. لقد كان الجرى
واللعب معها متعة كبيرة، وفى بعض الأحيان كنا نتبادل
الركلات ونعض بعضنا البعض.

عندما تمادينا فى ذلك ذات مرة، نادتنى أمى إلى
جوارها وقالت :

«أنا واثقة من أنك سوف تثب طيباً رقيقاً وأنك لن تتعلم
العادات السيئة. تحكم دائماً فى قوتك، ارفع قدميك عندما
تعدو ولا تركل أو تعض حتى ولو كان ذلك أثناء اللعب».

كنت دائماً أتذكر كلمات أمى، فقد كانت حكيمة ومحبة
من السيد الذى اعتاد أن يناديها باسم «بيت»، على الرغم من
أنها كانت تدعى «دوشيس».

كان السيد رجلاً حنوناً، وفر لنا بيتاً مريحاً وطعاماً جيداً
والكثير من الكلمات الطيبة. لقد أحببناه جميعاً، أما هو فقد
اعتاد أن يتحدث إلينا كما لو كنا أبناءه. وكانت أمى تسهل
عندما تراه وتجرى نحو البوابة لملاقاته، فسيريت على
ظهرها ويقول:

«والآن يا عزيزتى بيت، كيف حال بلاكى؟
(كان لونى أسود فأطلق على اسم بلاكى، ثم يعطى أمى



جزرة، ويعطينى قطعة خبز. فتأتى كل الجياد إليه، لكننى كنت واثقا من أنه كان يحببى أنا وأمى أكثر من الجميع. وفى يوم السوق كانت أمى هى التى تأخذه دائما إلى المدينة فى حنطور صغير.

وكان هناك صبي يدعى ديك يأتى إلى البستان من وقت إلى آخر ليجمع التوت من الأشجار الصغيرة، وعندما يفرغ من التهام مايشاء، كان يتسلى بأن يرمى الجياد بقطع الخشب الصغيرة والحصى، إلا أن ذلك كان يؤلمنا بشدة.

وفى يوم من الأيام كان «ديك» يرمينا بالحصى، ولم يلحظ أن صاحب المزرعة كان قريبا منا فرأى ما يحدث. وعندما رأى ديك يلقي الحصى جرى نحوه وأمسكه من ذراعه ثم شد أذنه حتى صرخ الصبى من شدة الألم والمفاجأة. عندما رأينا السيد، تسابقنا للنرى عن قرب ماذا يحدث. قال «ولد شرير! يالك من ولد شرير تؤذى الجياد! قد لا تكون هذه هى المرة الأولى التى تفعل فيها ذلك لكنها سوف تكون بكل تأكيد المرة الأخيرة. هاهى نقودك، اذهب ولا أريد أن أراك فى مزرعتى أبدا مرة أخرى».

الآن وقد رحل ديك بلا رجعة، فقد جاء دانيال العجوز لرعايتنا، إنه رجل طيب وعطوف مثل السيد. لقد كنا جيادا محظوظة.



الفصل الثانى

هناك الكثير الذى ينبغى أن اتعلمه

أصبحت حصانا صغيرا جميلا، كان جلدى الأسود القاتم ناعما ورقيقا، وعلى جبينى غرة بيضاء جميلة، ولى قدم واحدة بيضاء أيضا. كنت محل إعجاب الجميع ومع ذلك لم يفكر سيدى أن يبيعنى حتى بلغت الرابعة من عمرى. لقد كان يقول كما أن الأولاد الصغار لا يجب أن يقوموا بأعمال الرجال، كذلك لا ينبغى للمهور الصغيرة أن تقوم بأعمال الجياد اليافعة.

وعندما بلغت الرابعة جاء «سكوير جوردون» ليرانى. فحص فمى، وعينى وسيقانى، ثم شاهدنى وأنا أمشى وأعدو. وأبدى إعجابه بى وقال: «سوف يكون على ما يرام بمجرد ترويضه».





كان سيدى هو الذى سوف يتولى ترويضى بنفسه، فقد كان حريصا ألا أخاف أو أتعرض لأى أذى. وقال سيدى أنه سيبدأ فى اليوم التالى.

قد لا يعرف البعض معنى أن يروض الحصان، لذلك سوف أشرح لكم. عندما تروض للخيل فأنها تتعلم كيف تعتاد على اللجام والسرج، وكيف تحمل فارسا على ظهورها. كذلك تتعلم كيف تتصرف عندما تجر عربة، وكيف ينبغى لها أن تمشى بالسرعة التى يرغبها الراكب كما تتعلم ألا تصهل أبدا، ولا ترفس أو تعض.

والفرس المهذب هو الذى يطيع سيده دائما حتى عندما يشد به الجوع والعطش. وطالما ارتدى الفرس عدته، لابد أن يكون هادئا، ولا يثب أو يستلقى ليستريح. فكما ترى، إن عملية الترويض ليست أمرا سهلا بالنسبة للحصان. لقد اعتدت الآن وضع الزمام، وصار على أن أتعلم وضع اللجام والشكيمة. وكالعادة أعطانى سيدى بعض الشوفان. وبعد كثير من الاقناع نجح أن يضع اللجام فى فمى وأن يثبت الشكيمة فى مكانها، لقد كان أمرا فظيعا!

إنها تؤلم فمى بشدة، إنك لن تعرف هذا الشعور إلا إذا وضعت شكيمة فى فمك. هى فى سمك الإصبع وتوضع فوق اللسان بين الفكين لتخرج الأطراف من زوايى الفم. تثبت



الشكيمة فى مكانها بواسطة أحزمة من الجلد تلف حول الرأس والأذنين وتحت الذقن ويصبح من المستحيل التخلص من ذلك الشئ الفظيع . ومع ذلك فقد كنت أعرف أن كل الجياد الكبيرة تضع شكيمة، كذلك كانت تفعل أمى عندما تخرج . لقد كان سيدى صبوراً وكان يحايلنى بلطف حتى تعلمت أخيراً كيف أرتدى شكيمتى ولجامى .

ثم جاء دور السرج، ولم يكن ذلك سيئاً للغاية، فقد أمسك دانيال العجوز رأسى بينما وضع سيدى السرج على ظهرى بلطف شديد، ثم ربت على وتحدث إلى بهدوء ثم اعطانى بعض الشوفان وهو يثبت السرج على ظهرى . كان ذلك يحدث كل يوم وسرعان ما اعتدت عليه .

ثم حان الوقت ليمتطينى سيدى، فاعتلى ظهرى بينما مشيت به فى أرجاء الحقل، كم كان ذلك شعوراً غريباً، إلا اننى كنت سعيداً وفخوراً بأن أحمل سيدى فوق ظهرى .

كان ارتداء حدوة من الحديد فى قدمى أمراً صعباً جداً فى البداية . وحتى يطمئن سيدى أننى لن أخاف أو أؤذى اصطحبنى إلى محل بلاك سميث . رفع بلاك سميث كل قدم على حدة ليقلّم حوافرى . لم يكن ذلك مؤلماً فرفقت هادئاً حتى انتهى منها جميعاً . ثم جاءت الحدوة، وقد تشكل الحديد ليناسب أقدامى .





دق بلاك سميث بعض المسامير فى كل حدوة حتى تثبت جيدا فى حوافرى. فى البداية كنت أشعر أن أقدامى ثقيلة ومتيبسة لكننى سرعان ما اعتدت على ارتداء الحدوة. كان على بعد ذلك أن أعتاد على ارتداء «طاقم الحصان» فوضع سيدى طوقا ثقيلًا حول رقبتى ولجأما له غمامتان على جانبيه تثبتان بجوار العينين فلا أستطيع أن أنظر إلا إلى الأمام مباشرة، وحزام شديد يسمى «كفلا» يثبت تماما تحت ذيلى وهو ما كرهته تماما. فقد كان ذلك يقتضى أن أثنى ذيلى لأعلى حتى يمر من خلال الحزام فكنت أود أن أقفز وأركل، لكننى لم أكن لأفعل ذلك فقد كنت أحب سيدى حبا جما. ومنحنى سيدى الطيب أجازة لمدة أسبوعين فأرسلنى إلى حقل بالقرب من السكة الحديد. فى أول الأمر كنت أفزع عندما أسمع أو أرى القطار وأجرى بأقصى ما أستطيع من سرعة، لكن لم يمض وقت طويل حتى اعتدت على القطارات.

ومنذ ذلك الوقت رأيت خيولا كثيرة يصيبها الذعر عند رؤية القطار لدرجة أنها توقع الراكب من على ظهورها، لكن بفضل تدريبي المبكر. لم أكن أخاف فى محطات القطارات.

وفى مناسبات عديدة كان سيدى يقودنى أنا وأمى معا فى سرج واحد. لقد كانت أمى حكيمة وخبيرة فتعلمت منها



الكثير. قالت لى أمى انه ينبغي على أن أكون حساسا وأن أحاول أن أسعد سيدي لأننى إن أحسنت التصرف فسوف أعامل معاملة حسنة. وقالت أيضا إنه ليس كل الرجال طيبين وأن الكثير من البشر قد يكونون قساة أغبياء. وعلمتنى أن الخيول لا يمكنها اختيار ساداتها. لقد بث قولها هذا الرعب فى نفسى من أنه ربما يأتى يوم أكون فيه ملكا لشخص مستهتر وشرير.



الفصل الثالث

حديقة بيرتويك : بيت جديد

فى وقت مبكر من شهر مايو كان سيدى قد باعنى إلى سكوير جوردون الذى كان يعيش فى بيرتويك بارك . كنت أشعر بحزن عميق لفراق سيدى ، لكنه ريت على ظهري برقة وقال : «الوداع يابلاكى ، اعمل بجد فى خدمة سيدك الجديد» .

كان منزل سكوير جوردون كبيرا جدا . عشت فى اسطنبول كبير به أربعة مرابط ، ونافذة كبيرة تطل على الفناء . لم أكن مقيدا فى مربطى لذا كنت سعيدا للغاية ، فقد كان بإمكانى أن أتجول كيف أشاء . كما كان بمقدورى أن أنظر من فوق السور لأرى فناء الاسطنبول من مربطى التنظيف الجيد النهرية .



تناولت أول وجبة فى بيتى الجديد وعندما انتهيت من تناول الطعام نظرت إلى داخل المريط التالى . كان هناك فرس صغير ممثلئ الجسم، رمادى اللون وله عرف وذيل كثيفان، ورأس جميل، وعلى وجهه نظرة جريئة، فتحدثت إليه قائلاً:

.. «ما اسمك؟»

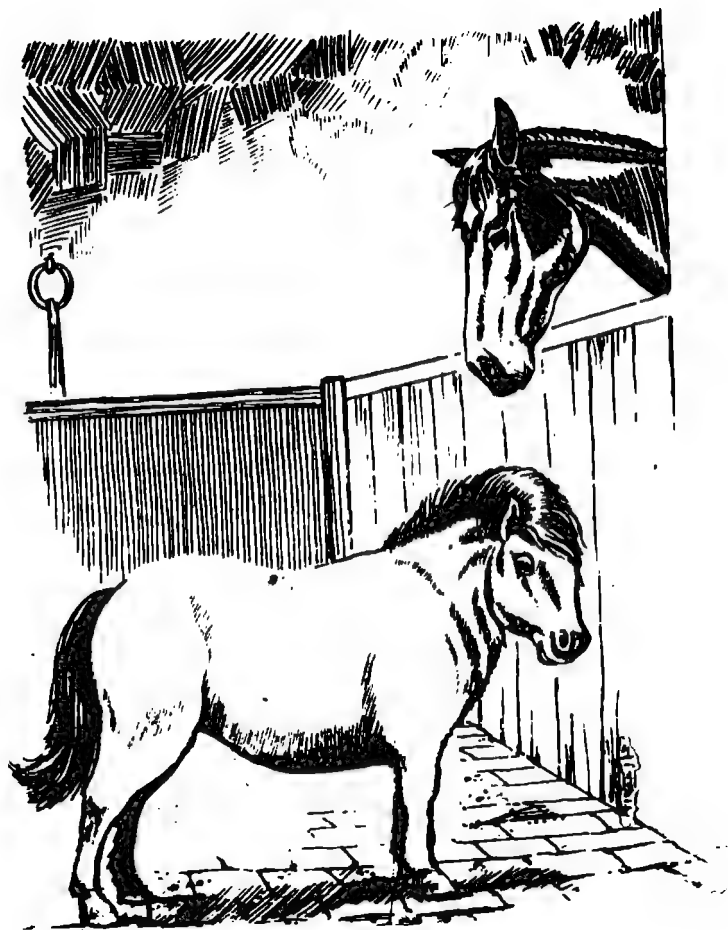
التفت إلى وقال: «اسمى ميرى ليجز، أنا مهر وسيم يحبنى الجميع . أحياناً اصطحب السيدة فى عربة صغيرة، لكن فى أغلب الأحيان تركب السيدات الصغيرات على ظهرى، هل ستمكث هنا أنت أيضاً» .

أجبت : «نعم»

قال ميرى ليجز: «حسن، أرجو أن تكون حصانا حسن الطباع فلا تركل أو تعض»

فى هذه اللحظة رأيت رأس مهرة أخرى تطل من مريط آخر، كانت مهرة كبيرة لونها كستنائى، وأذناها تميلان للخلف، وفى عينيها نظرة غاضبة، رمقتى بنظرة متوحشة ولم ترد على حين تحدثت إليها.

وعندما خرجت فى وقت لاحق من بعد الظهر، أخبرنى «ميرى ليجز، بحكايتها. قال لى أن «جينجر، سميت بهذا



الاسم لأنها تنقض على أى مخلوق . وأوضح ميرى ليجز أن جينجر كانت تلقى معاملة قاسية من مالكيها السابقين مما جعلها سيئة الطباع . ومنذ أن أتت إلى بيرتوك بارك يعاملها السائس جون برقة حتى أن ميرى ليجز يلحظ تغيرا فى سلوكها . لقد كان على يقين من أن طبيعتها يتغير إلى الأحسن .



الفصل الرابع

حرية يوم الأحد

كان لدى بيت ملائم وكنت سعيدا بذلك، إلا أن الشيء الوحيد الذى افتقدته هو الحرية. لأكثر من ثلاث سنوات كنت أعُدو حرا وسط المروج الخضراء. لكن الآن. يوما بعد يوم، أسبوعا تلو أسبوع، شهرا وراء شهر، كان على أن أقف فى الإسطبل ليل نهار إلى أن يحتاجنى السيد. وحتى عندما أخرج فإن على أن أقف ثابتا هادئا والشكيمة فى فمى، وغمامتان حول عيني. وقد تعلمت أنه هكذا ينبغي أن تعيش الخيل، إلا أن ذلك كان صعبا للغاية بالنسبة لى. فبالنسبة لحصان صغير ملئ بالحياة، عاش فى حقل فسيح يعدو بأقصى سرعته مرفوع الرأس والذيل، يصبح من الصعب عليه أن يعتاد الوقوف فى إسطبل يوما بعد يوم.



أحيانا كان من الصعب على أن أقف ثابتا عندما كان
جون يأتى ليخرجنى . فقد كنت أشعر أننى مفعم بالحياة، لكن
جون كان يبدو متفهما لشعورى حين أظل محبوسا فى
الاسطبل طوال اليوم، فكان يسمح لى بالجرى السريع لبضعة
أميال بمجرد أن نترك القرية .

كانت الخيول تخرج إلى الحقول يوم الأحد لبضع ساعات
من الحرية، وكنا سعداء بهذه المعاملة . فقد كان رائعا أن
نجرى ونركض فى المروج الخضراء وأن نشعر بلمس
الحشائش الرطبة الناعمة تحت أقدامنا .



الفصل الخامس

جينجر تحكى حكايتها

سُحِتِ الفرصة لى أنا وجينجر لتجاذب الحديث عندما وقفنا وحدنا تحت ظلال الأشجار. كانت تريد أن تعرف شيئاً عن حياتى وكيف روضت فحكيت لها كل ما يمكن أن يقال.

قالت جينجر: «أعتقد فى غالب الأمر كان من الممكن أن أكون أنا أيضاً حسنة الطباع إذا ما مررت بنفس تجربتك، لكن فات الأوان بالنسبة لى».

سألتها: «لماذا؟»، فبدأت جينجر تحكى حكايتها.

لقد انتزعت من أمها وهى فى سن صغيرة جداً ووضعت فى حقل به العديد من الأمهر الصغيرة. لم يكن هناك أحد يرعاها، ولا سيد حكيم يهتم بها ويعطف عليها.



كان هناك صبي صغير فى الحقل الذى عاشت به جينجر اعتاد أن يرمى الجياد بالحصى. لم يصب جينجر أى أذى، لكن أحد الخيول الصغيرة أصيب فى وجهه وجرح. وعندما حان الوقت لترويضها أمسك بها بعض الرجال القساء الذين تعاملوا معها بخشونة ووضعوها الشكيمة فى فمها بعنف. وعندما حاولت الهرب أوسعوها جلدا بالسياط حتى تفرح جنبها. ثم أودعوها اسطبلا ضيقا حالك الظلام. فقد كان ابن سيدها مصرا على تحطيم معنوياتها. كان رجلا سكيما قاسيا حتى أنه كان يجعلها تجرى فى حلبة التدريب حتى تعجز عن الوقوف إذا هى لم تفعل ما يطلبه منها تماما.

لقد أجهدها ذات يوم لدرجة أنها سقطت من شدة الإعياء يمتلكها شعور بالغضب الشديد والتعاسة.

جاءها ابن السيد فى صباح اليوم التالى مباشرة وجعلها تجرى وتجرى فى الحلبة ولم يكن الرجل القاسى يسمح لها أن تستريح، وعندما تتعب كان يلسعها مرارا وتكرارا بسوطه. لم تستطع جينجر المسكينة أن تتحمل أكثر من ذلك فبدأت تشب على مؤخرتها وترفسه.

لقد كان صراعا مريرا لكنها نجحت فى النهاية أن تلقى به على الأرض وتركض إلى الحقول. ظلت جينجر هناك حتى استراحت وظنت أنها بقيت فترة طويلة. هام حولها



الذباب فى حرارة الشمس وشعرت بالجوع الشديد والعطش .
أخيرا جاء إلى الحقل رجل عجوز طيب فأحضر لها بعض
الشوفان والماء العذب، وتحدث إليها بحنان فجعلته يعود بها
إلى الاسطبل .

فاحضر الرجل الطيب الماء الدافئ ونظف جروحها، وأخذ
يدلك جسدها بينما كانت تستريح ثم زارها عدة مرات، وعهد
بجنيجر إلى مدرب جديد يدعى جوب الذى كان رجلا عاقلا
طيب القلب وسرعان ما تعلمت منه جينجر ما كان ينبغى لها
أن تتعلمه .

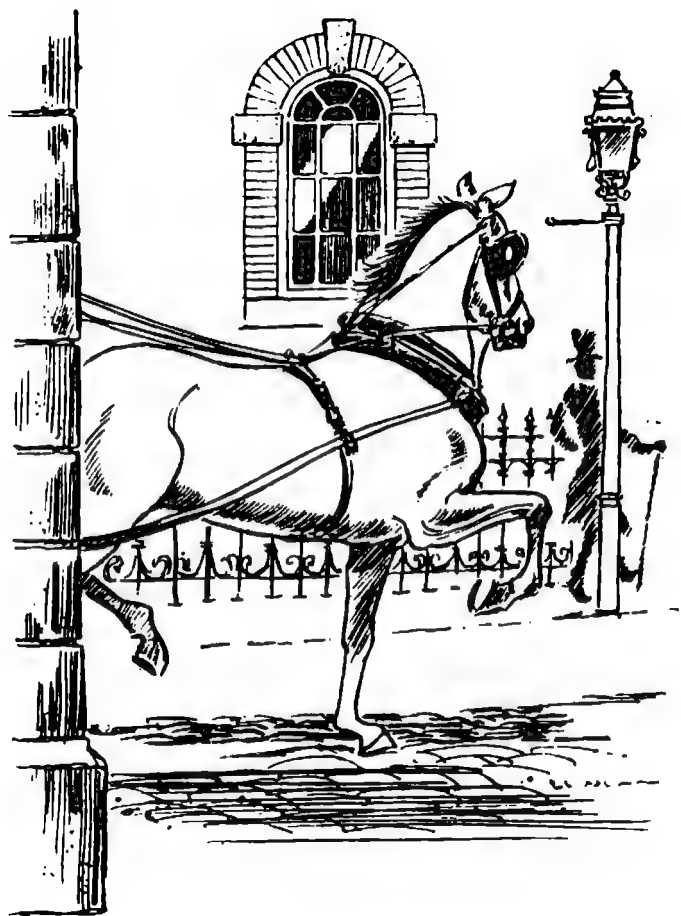


الفصل السادس

مازلت أستمع للمزيد من حكاية جينجر

عندما سنحت الفرصة لنفرد سويًا مرة أخرى، حكّت لى جينجر عن بيتها الثانى.

بعد ترويضها، اشتراها رجل متألق وانتقلت للعيش فى المدينة. وأحكم سيدها الجديد اللجام بشدة لسبب واحد هو أنه أراد أن يتبع الموضة. ومع ضيق اللجام كان على جينجر المسكينة أن تظل طوال الوقت مرفوعة الرأس ولا تستطيع الحركة. كم كانت الشكيمتان اللتان فى فمها حادتين للغاية حتى انجرح لسانها. وفى بعض الأحيان كان عليها أن تقف ساعات طوال فى انتظار سيدها، فإذا تحركت أو ارخت رأسها قليلاً كان السيد يجلدّها. كانت هذه المعاملة مثيرة لأعصابها، ففى كل يوم كانت ترتدى طاقمها بالضرب والكلمات القاسية.





لقد كانت جينجر تود أن تجعل أسيادها فخورين بها وكانت لديها رغبة صادقة للعمل الا أنهم لم يعتنوا بها وجعلوها فى معاناة دائمة .

وأصبحت الآلام فى فم جينجر ورقبتها لا تحتمل لدرجة أنها كانت تركل وتلقى بأى شخص يحاول أن يضع عليها طاقمها . فى نهاية الأمر عندما أصبحت غير قادرة على الاحتمال تخلت من طاقمها وهربت . ثم بيعت لملاك مختلفين ، لكنها لم تبق فى أى بيت لمدة طويلة لأن الناس كانوا يتخوفون من سوء طبيعتها . كان صاحب آخر بيت ذهب إليه رجلا غليظا يلكزها بالمذراة إذا عصيت له أمرا . وفى يوم من الأيام عضته فى ذراعه عندما حاول أن يضربها بالسوط .

بعدها أصبح هذا الرجل يخشى الاقتراب من جينجر ، فتعلمت أنه ليست هناك سوى طريقة واحدة فقط أمام الخيول للتعامل مع القساة من بنى الانسان .

ثم قالت لى جينجر انه منذ أن جاءت للعيش فى بيرتويك تغيرت حياتها بدرجة كبيرة . جون وجيمس ، سائسا الخيل هنا ، يعاملانها بمزيد من العطف . ومن أسبوع لأسبوع كنت ألحظ أن جينجر أصبحت أكثر رقة وابتهاجا وأنها أوشكت أن تتخلى عن نظرتها الغاضبة .





الفصل السابع

ميرى ليجز يلقن الأطفال درسا

كان مستر «بلومفيلد» يعيش فى القرية مع أسرته الكبيرة. كان قس القرية. وقد اعتاد أن يزور بيرتويك مع العديد من أطفاله. وكانوا جميعهم يحبون ركوب ميرى ليجز.

ذات يوم، خرج ميرى ليجز مع الأطفال لوقت طويل وعندما أعاده جيمس إلى الاسطبل، قال : «حسن، انه من الأفضل ان تسلكوا سلوكا مهذبا وإلا تعرضنا جميعا للمتعاب».

اندهشت عندما سمعت هذا الكلام وسألته : «ماذا فعلتم يا ميرى ليجز؟»

أوما ميرى ليجز برأسه وقال «لقد كنت ألقن هؤلاء الأطفال درسا فحسب. انهم لا يكتفون بأى قدر من اللعب، كما أنهم لا يدركون أننى فاض بى الكيل، لذلك ألقيت بهم من



فوق ظهري . وكان ذلك هو التصرف الوحيد الذى يمكن أن يفهموه .

لقد صدمت حقا حين عرفت أن ميرى ليجز قد أتى بمثل هذا التصرف لكنه قال انه كان شديد الحرص على كل الأطفال . فعندما كانوا خائفين قلقين كان يمشى ببطء وثبات حتى يشعر أنهم اعتادوا الأمر فيسرع خطاه . لكن فى هذا اليوم بالذات بعد أن ركبته الأطفال لأكثر من ساعتين ، كانوا مازلوا يرغبون فى المزيد ، فصنعوا سياتا من أغصان شجر الجوز وضربوه بشدة . توقف ميرى ليجز عدة مرات ليعرفوا أنه بحاجة للراحة ، لكن الأولاد ظلوا انه كالماكينة التى بمقدورها أن تظل تعمل وتعمل بلا توقف . لم يتذكروا ولو للحظة واحدة أن حصان حى له مشاعر وأنه من الممكن أن يشعر بالتعب والغضب .

لذلك عندما ضربه الصبى الذى كان على ظهره فى ساقيه ، رفع مير ليجز قدميه الخلفيتين فسقط الصبى . لقد كان ميرى ليجز يحب الأطفال كثيرا لكنه رأى أن هؤلاء الأطفال بحاجة ليلقنوا درسا . لقد كان محل ثقة الجميع ، وفى المقابل كان يحاول أن يكون لطيفا بقدر ما يستطيع مع الأطفال . بعد أن أخبرنى بكل شئ التفت إلى قائلا : «أنا لن أركل أبدا أو أكون سئ الطباع حتى لا أباغ فى الحال . فقد أجد نفسى فى



قبضة سيد فظ يرهقني بالعمل الشاق، أو رجال قساة
يضرّبوني بالسياط. أو ربما أجد نفسي في مدينة ساحلية
حيث لا أحد يهتم بشئ من أمري إلا أن يرى قدرتي على
العدو السريع. لا، سوف أحرص كل الحرص على ألا أفعل
ذلك مرة أخرى.



الفصل الثامن

محادثة طويلة مع سير أوليفر الحكيم

ذات يوم كان الجو مشمساً بعد الظهيرة فأطلقنا السيد نرعى فى البستان . وقفت تحت ظلال الأشجار مع حصان عجوز لكنه وسيم يطلق عليه أوليفر . كان ذيله لا يتعدى ست أو سبع بوصات وكنت دائماً أتساءل عن سبب قصره الشديد، فقررت أن أسأله كيف فقد ذيله .

فنفر سير أوليفر وقال : « بالتأكيد لم تكن حادثة . لقد كان فعلاً مخزياً أثيماً . كنت مهراً صغيراً عندما أخذونى إلى مكان تؤتى فيه مثل هذه الأفعال المزرية . قيدونى بشدة بحيث لا أستطيع الحركة على الإطلاق ثم قطعوا ذيلى من اللحم والعظم . »

قلت بهدوء : « هذا أمر فظيع . »



«نعم، كان أمرا فظيعا، لكن لم يكن الألم وحده هو ما جعله فظيعا بل الاهانة بحرمانى من ذيلى الجميل. أنا أحتاج ذيلى لأطرد الذباب عنى، فأنت لا تتصور كم أتعذب بسبب الهوام التى تقر على جلدى وتلدغنى ولا استطيع ابعادها. استئصال ذيلى خطأ لا يمكن اصلاحه، لكن حمدا لله أنهم كفوا الآن عن استئصال ذيول الخيل».

سألت جينجر: «لم إذن كانوا يفعلون ذلك؟»

رد الحصان العجوز وهو يضرب الأرض بقدمه:
«مجرد موضة! فالموضة تعنى أن شخصا ما دارت برأسه فكرة أن ذيول الخيل يجب أن تكون قصيرة لتكون أكثر جمالا. يقينا أننا كنا سنولد بذيول قصيرة اذا أراد الله لنا ذلك».

قالت جينجر: «لا بد أنها الموضة التى تجعلهم يرفعون رؤوسنا طوال الوقت باستخدام تلك اللجامات الحادة الغضبية التى أضعها فى فمى فى المدينة».

رد سير أوليفر: «بالتأكيد. لا بد أن فكرة الموضة هى من أسوأ الأمور التى انشغل بها الآدميون. أنظر مثلا ما يحدث للكلاب. أنهم يجذبون آذانهم للخلف ويجتزرون ذيولهم لأنهم يعتقدون أن ذلك يجعل الكلاب أجمل. كانت لى



صديقة من كلاب الترير لونها بنى وتدعى سكاي وكانت تنام معى فى نفس المريط. كان لديها خمسة كلاب صفار تحبها حبا جما. ذات يوم، خطفها أحد الأشخاص، لكن سكاي عثرت عليها فى تلك الليلة وعادت بها وقد حملتها فى فمها الواحد تلو الآخر. لم تكن هى الكلاب السعيدة التى عرفتھا. كانت تبكى والدماء على أجسادھا. قطع الرجل جزءا من ذيلھا وكذلك الجزء الرخو من أذانھا.

لن أنسى أبدا مدى الذعر والغم الذى شعرت به المسكينة سكاي وكيف لعقت جراح صغارھا بعناية. بعد مضى بعض الوقت، شفيت جراحھا إلا أن الكلاب الصغيرة فقدت إلى الأبد الجزء الرخو الذى يحمى الجزء الحساس لآذانھا. لماذا لا يقطع الناس أنوف أطفالهم أو آذانهم ليكونوا أجمل؟ أنه سيؤدى تماما إلى نفس الاحساس الذى يسببونه لنا.

التفكير فى تلك الأمور جعل الحصان الطيب العجوز يشعر بالغضب، وعندما حكى لى سير أوليفر عنها غضبت أنا أيضا. وأحسست بكراهية لهؤلاء البشر لم أشعر بها أبدا من قبل. لم أستطع أن أفهم لماذا قاموا بمثل تلك الأفعال القاسية. كانت جيجنز تستمع إلى حديثنا، ثم صرحت ورأسها مرفوع



وأنفها تضطرم غيظا أن فى رأبها هؤلاء الناس شياطين
حمقى.

وفى تلك اللحظة ظهر ميرى ليجز الذى كان يحك جسمه
فى فروع شجرة تفاح عتيقة.

قال ميرى ليجز: «ان كلمة أحمق كلمة سيئة جدا،

ردت جينجر «لا بد أن نستخدم الكلمات السيئة لوصف
الأشياء السيئة، وحكت له كل ماقال سير أوليفر. ثم تحدث
مارى ليجز: «أعرف أن كل ذلك حقيقى فقد رأيت ذلك
يحدث للعديد من الكلاب، لكننا لا يجب أن نتحدث عنه مرة
أخرى، فالسيد وجيمس وجون طيبون معنا دائما. نحن نعرف
إذن أن فى الدنيا أيضا أناسا طيبين. لا بد أن نكون ممتنين أن
لنا بيتا مريحا نلقى فيه معاملة حسنة».

كنا نعلم جميعا أن ماقاله ميرى ليجز صواب وبدأنا نهذا.
حتى سير أوليفر وافق على أن له سادة طيبين وأن حياته
هنا سعيدة. هكذا أنهينا حديثنا فى البستان وبدأنا نأكل ثمار
التفاح الحلوة التى سقطت من الأشجار.



الفصل التاسع

حصار العاصفة

ذات يوم ، قرر سيدى أن يجد لى إسما ملائما، ربت على رأسى ونظر إلى مليا لفترة طويلة، ثم نادى جيمس وجون وقال : «مارأيكما فى إسم (بلاك بيوتى)»

قال جون : «بلاك بيوتى بالتأكيد يلائمه تماما. نعم، انه اسم حسن جدا له».

لقد كان اسما رائعا فشعرت بالفخر والنضج .

فور حصولى على هذا الاسم، كان على أن آخذ سيدى فى رحلة طويلة بعربة الكلاب وذهب معه جون . كنت أحب أن أجر عربة الكلاب، فقد كانت خفيفة كما أن عجلائها الكبيرة تدور بسهولة . كانت الأمطار تهطل بغزارة والآن هبت رياح



قوية تعصف بأوراق الأشجار فى عرض الطريق . واصلنا طريقنا بسرعة حتى بلغنا الجسر الخشبى .

عند الجسر أخبر الحارس سيدى بأن النهر يرتفع بسرعة وأنه يخشى أن تكون ليلة عاصفة . كانت العديد من الحقول غارقة بالمياه بالفعل ، وعندما فاض الجزء المنخفض من الطريق كان ارتفاع الماء يصل تقريبا إلى ركبتى . قاد سيدى العربة ببطء ويحذر شديد . عندما وصلنا المدينة حظيت ببعض الراحة ، فقد استغرق سيدى وقتا طويلا حتى أنجز عمله وبدأنا رحلة العودة فى وقت متأخر من بعد الظهر .

عندئذ كانت الرياح تعصف بشدة وسمعت سيدى يقول لجون إنه لم يشهد عاصفة مفزعة كهذه فى حياته أبدا .

بينما نحن فى طريق العودة ، كانت الرياح العنيفة تعوى خلال الأشجار وتقصف أوراق الشجر اللينة .

قال سيدى : «أتمنى لو أننا نخرج من هذه الغابات سالمين،

رد جون : «نعم ياسيدى بالفعل ، سيكون خطرا كبيرا إذا سقط علينا فرع من فروع الأشجار ، وبمجرد أن قال جون هذا الكلام كان هناك ضجيج شئ يتصدع ، فقد انخلت شجرة بنوط ضخمة من جذورها وسقطت على الأرض أمامنا تماما .

لقد كنت مذعورا لكننى لم أدر للخلف أو أحاول الفرار، بل وقفت هناك ارتعد وحسب.

قال سيدى : «لقد كان الخطر أقرب مما تصورنا، ماذا نحن فاعلون الآن؟»

أجاب جون : «أما وأننا لا نستطيع أن نمر بالعربة فوق الشجرة أو حولها، فلا بد أن نعود إلى الجسر الخشبى».

وعندما بدأنا فى العودة إلى الجسر كان الظلام قد حل، مع ذلك كان بمقدورنا أن نرى أن الماء قد غطى منتصف الجسر.

لم يتوقف سيدى لأنه كان يعلم أن هذا قد يحدث عندما يفيض النهر. كنا نسير مسرعين بعض الشئ لكن فى اللحظة التى وطلت قدمى فيها الجسر أدركت أن هناك خطأ ما. فتوقفت ولم أ تقدم خطوة.

قال سيدى : «هيا يا بيبوتى، وحثنى بالسوط بلطف إلا أننى لم أتحرك. فضرينى بشدة لكننى رفضت أن أتحرك.

قال جون : «لابد أن هناك شيئا ما يا سيدى» ونزل من العربة محاولا أن يحثنى على عبور الجسر.

قال جون : «هيا يابنى، ماذا هنالك؟»





لم أستطع أن أخبره لكننى كنت متيقنا أن الجسر ليس آمنا.

فى تلك اللحظة ظهر حارس بوابة الجسر يلوح نحونا بشعلة وهو يصيح: «توقفوا! توقفوا! لا تتحركوا ولا خطوة أخرى!»

صاح سيدى: «ماذا هناك؟»

أجاب الحارس: «انه الجسر. لقد انكسر من المنتصف وانجرف جزء منه. اذا تقدمتم أكثر من ذلك سوف تسقطون فى النهر».

قال سيدى: «الحمد لله ! الحمد لله!»

قال جون وهو يمسك بزمامى برفق ويديرنى للخلف بحرص: «أنت ذكى يا بيوتى»

كانت الرياح قد هدأت والشمس غربت والظلام يتزايد، وساد الغابة سكون غريب. كانت العجلات بالكاد تصدر صوتا وأنا أخطو بهدوء على الطريق المترب الناعم. كان جون وسيدى يتحدثان بصوت خافت. وكان يعلمان أننى أنقذت حياتيهما عندما رفضت أن أعبر الجسر. وسمعت سيدى يقول ان الناس يتمتعون بقوة العقل، بينما تتمتع الحيوانات بقوة خاصة هى التى عادة ما تنقذ حياة الناس الذين







يحبونهم. كان جون يعرف أن هذا حق، وأخذ هو والسيد يرويان حكايات عن خيول وكلاب أنقذوا أصحابهم. لقد أدرك كلاهما أن الناس لا يقدرّون حيواناتهم حق قدرها.

وهكذا مرت الليلة ووصلنا أخيرا إلى مدخل بيرتويك بارك. كان البستاني واقفاً بالباب في انتظارنا.

قال البستاني أن السيدة كانت قلقة للغاية علينا حتى أنها ظلت مستيقظة طوال الليل. ثم رأينا ضوءاً عندما انفتح باب الردهة وجاءت السيدة تجرى لملاقتنا، وصاحت:

- «عزيزي، لقد كنت في غاية القلق، هل أنت بخير؟ هل وقع لك حادث؟»

قال السيد: «لا يا عزيزتي. نحن بخير بفضل بلاك بيوتي. فلواه لكننا جميعاً ضعنّا في النهر».

ولم أسمع المزيد، حيث دخلا كلاهما إلى المنزل بينما ذهبت أنا إلى الاسطبل مع جون الذي أعد لي فراشا وثيرا من القش وقدم لي وجبة شهية. فكنت في غاية الامتنان. لقد كانت ليلة طويلة جدا وكنت أشعر بإرهاق شديد.



الفصل العاشر

السائس الممتاز جيمس هوارد

صباح يوم من أيام ديسمبر خرجت لممارسة تدريبي اليومى مع جون. بمجرد عودتنا إلى الاسطبل جاء السيد. كان فى يده خطاب مفتوح وقد بدا عليه الانشغال الشديد. قال السيد: «صباح الخير يا جون، هل لديك أى شكوى من جيمس؟».

أجاب جون: «لا يا سيدى، على الاطلاق. انه يعمل بجد وهو صبور وطيب مع الخيل دائما، وبينما كان جون يتكلم كان السيد ينصت».

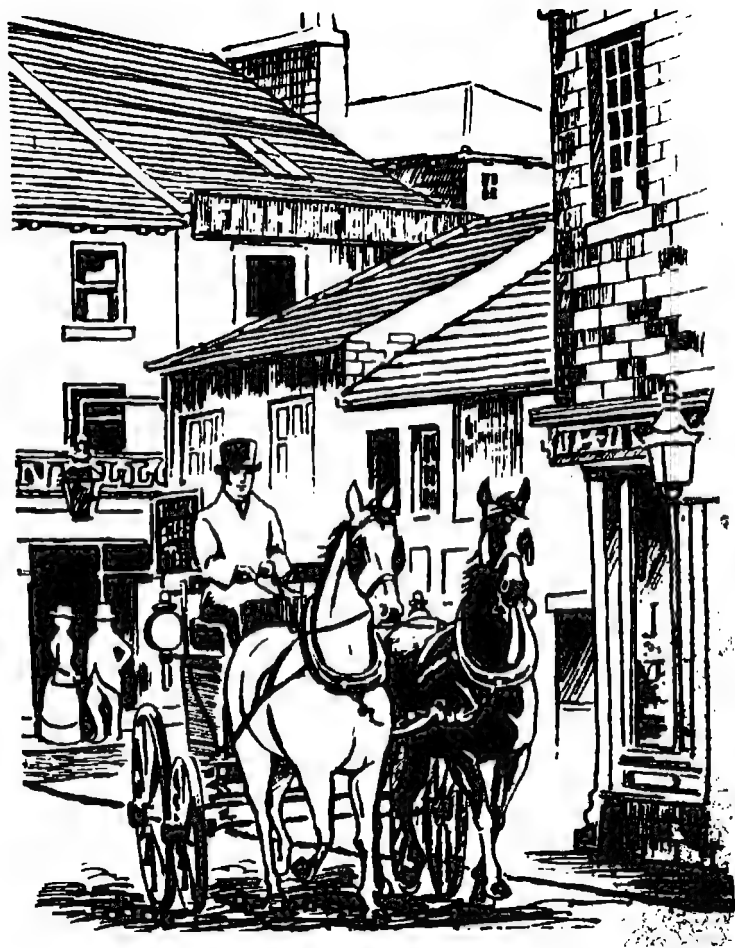
كان جيمس واقفا عند البوابة. عندما انتهى جون من كلامه نظر السيد نحو جيمس مبتسما وقال: «جيمس ولدى، لقد أردت أن أعرف كل شئ عنك لأن لدى بعض



المعلومات التي قد تهلك . هذا خطاب من زوج أختي ، انه يبحث عن سائس شاب ، أمين يعتمد عليه ليقوم برعاية ممتازة لخيوله . قد تكون هذه الوظيفة بداية جيدة جداً لك ، فزوج أختي رجل طيب وعادل ، أعرف أن جون سوف يفقد مساعدتك لكننا لن نقف في طريقك ان أردت أن نغتنم هذه الفرصة . فكر بالأمر ثم أخبرني ماذا تريد أن تفعل ، .

بعد ذلك بأيام قليلة قرر جيمس أن يتركنا وينتقل إلى الوظيفة الجديدة ، ولما كان جيمس بحاجة لمزيد من التدريب على القيادة فقد كانت العربة تخرج أكثر مما عهدت من قبل . كنت أنا وجينجر نجر العربة بينما يمارس جيمس مهاراته في القيادة .

كان يقود بنا في المدينة . لقد أحببت رائح القهوة والطباق والخبز التي تهب من المحال المفتوحة ، وكانت مشاهدة الخيول الأخرى التي تجر العربات ممتعة . أصبح جيمس سائقاً ممتازاً ، بينما أنا وجينجر نقضى وقتاً ممتعاً .



الفصل الحادى عشر

حريق الاسطبل

كان لسيدى وسيدتى بعض الأصدقاء الذين يعيشون على بعد حوالى خمسة وأربعين ميلا من بيرتويك . بعد الظهيرة فى يوم مشرق قررا زيارتهم وكان جيمس يقود العربى . قطعنا اثنين وثلاثين ميلا فى اليوم الأول . كان هناك العديد من التلال الطويلة على مدى الرحلة لكن جيمس كان سائقا حذرا ومتفهما ، فكان حريصا ألا يرهقنا بشدة . كان يتذكر أن يستخدم الفرامل عندما نكون بمنحدر ويبطل استخدامها عندما لا تكون هناك حاجة لها . توقفنا للراحة مرة أو مرتين بالطريق ووصلنا الى المدينة التى سوف نقضى فيها الليل عند غروب الشمس تماما .

وعندما وصلنا الى الفندق الصغير فى منتصف السوق مررنا تحت قنطرة وتوقفنا فى فناء طويل يوجد فى نهايته



اسطبلات للخيل وساحات للعربات حيث جاء رجلان
لملاقاة. قام الرجلان باقتيادنا أنا وجينجر الى الاسطبل بينما
وقف جيمس يراقبهما ليتأكد من أنهما ينظفانا ويعملان على
راحتنا.

وفى وقت متأخر من ذلك المساء بينما كنت أستريح فى
مربطى سمعتهم يحضرون حصانا الى الاسطبل. كان هناك
شاب يدخن الغليون. كان الشاب يتحدث مع عمال الاسطبل
وهم ينظفون الحصان، فطلب منه أحدهم أن يطفى غليونه
ويعطى الحصان بعض التبن. فسمعته وهو يمر بجوار مربطى
ويلقى بالتبن على الأرض. ثم أغلقوا باب الاسطبل ومضوا.

بعد ذلك استيقظت فى وقت متأخر وقد اعترانى شعور
بالقلق. لم أعرف فى أى وقت نحن حينئذ ولا كم من الوقت
أمضيته نائما. كان الهواء ثقيلًا وهناك صعوبة فى التنفس.
كانت جينجر تسعل بينما سمعت حصانا آخر يحوم فى
مربطه. لم أتمكن من رؤية أى شئ على الإطلاق فقد كان
الظلام حالكا، لكن كان بأستطاعتي أن أشم رائحة الدخان فى
الاسطبل.

ثم سمعت ضجيج طقطقة وبصاق تأتى من باب خفى
كان مفتوحا. بدأ كل جسمي يرتعد. فقد كنت خائفا جدا.
عندئذ كانت كل الخيول الأخرى قد استيقظت وكان بمقدورى





أن أسمعها تجذب ألفتها وتمخر وترفس وتدب على الأرض.

ثم سمعت صوتا مختلفا. كان هناك شخص ما قادما! فقد إنذفع رجل الى داخل الاسطبل وفي يده فانوس. انه السائس الذى أدخل الحصان الأخير. كان يجرى من مرتبط إلى آخر يحل الخيول ويحاول اقتيادها للخارج. لكنه كان فى عجلة شديدة كما كان هو نفسه خائفا جدا لدرجة أننى أصبحت أكثر ذعرا من أى وقت مضى.

لم يتحرك الحصان الأول وهو يحاول اخراجه، ولا الثانى ولا الثالث. ثم جاء إلى ليحاول جذبى للخارج لكننى كنت مذعورا جدا فلم أخرج معه، لقد حاول مع كل الخيل إلا أن أحدها لم يتحرك، فاستسلم السائس وتركنا.

ربما كنا أغبياء لأننا لم نترك الاسطبل، لكننا لم نعرف ما الذى كان يحدث كما أنه لم يكن هناك أحد يمكننا الاعتماد عليه. لقد أصبح التنفس الآن أسهل كثيرا بعد أن دخل الهواء النقى من الباب المفتوح. كانت أصوات الطقطقة والسعال تتعالى وعلى جدار الاسطبل لمع ضوء أحمر.

صاح شخص ما: حريق! حريق! ثم سمعت صوتا مطمئنا، كان صوت جيمس يقول: استيقظ يا بيوتى، تعال معى، لقد حان وقت رحيلنا





جاء جيمس إلى أولا لأننى كنت بالقرب من الباب. فريت على رأسى وقال دعنا نضع سرجك يا بيوتى وسوف نخرج من هنا فوراً

تبعته إلى خارج الاسطبل المشتعل، بعيداً عن الخطر فى الفناء الآمن. طلب جيمس من شخص ما أن يبقى معى بينما عاد هو من أجل جينجر. وأطلقت أنا سهيلاً عالياً بينما جرى هو عائداً الى الاسطبل. وقالت لى جينجر بعد ذلك أننى حسناً فعلت عندما سهلت بصوت عالٍ لأنها سمعتنى فى الفناء فشجعها ذلك على ترك الاسطبل.

عمت الفوضى والضجيج الفناء، وكان الناس يتصايحون ويجرون فى كل اتجاه. البعض يقتاد الخيول خارج الاسطبلات الأخرى. بينما كان هناك دخان كثيف يمسب من الاسطبل الذى ذهب اليه جيمس. كنت أرقبه عن قرب عندما سمعت سيدى ينادى:

- جيمس! جيمس! جيمس هوارد! أين أنت؟ لكن لم يكن هناك رد. لم يكن هناك صوت مسموع سوى صوت الأشياء التى تتساقط فى النيران. ثم رأيته! فأطلقت حممة مدوية لفرط سعادتى عندما رأيت جيمس خارجاً بجينجر خلال الدخان. كانت تسعل بشدة بينما لم يستطع جيمس الكلام على الإطلاق.



قال سيدى وهو يريت على كتف جيمس: إنك شجاع،
شجاع يا ولدى! ثم سأله إذا كان على ما يرام لكن جيمس أوماً
برأسه فقط، فقد كان مايزال غير قادر على الكلام.

فى تلك الليلة ذاتها تركنا البلدة . كنا جميعا نشعر بالحزن .
فقد أخبرنا جيمس أن سقف الاسطبل انهار وأن الخيول التى
لم تخرج فى التوقيت المناسب قد دفنت تحت الانقاض .

الفصل الثانى عشر

وداع حزين لجيمس

كان الجزء الثانى من رحلتنا سهلا جدا بعد الوقت العصيب الذى أمضيته فى الحريق، ووصلنا الى البلدة التى نقصدها قبل أن يحل المساء. أدخلنا سائس مطيب الى اسطبل دافئ ونظيف وعمل على راحتنا. عندما سمع عن الحريق تحدث الى جيمس وقال:

- أيها الشاب، من الواضح جدا أن خيولك تعرف من تثق به وتعتمد عليه. عندما يكون هناك حريق أو فيضان، فانه من أصعب الأمور فى العالم أن تخرج خيولا من الاسطبل بعد ثلاثة أيام فى هذا المكان، حان وقت العودة. لم تكن هناك مشاكل فى رحلة العودة. سعد جون بعودتنا جميعا



آمنين سالمين، كما كنا جميعا سعداء بعودتنا الى بيتنا الاسطبل.

وفى تلك الليلة كان جون وجيمس يتحدثان عن صبي اسمه جو جرین . سمعناهما يقولان انه عندما يحين وقت رحيل جيمس من بيرتويك بارك، سوف يحل جو جرین محله . كان عمره أربعة عشر عاما فقط، لكن جون قال انه ولد ذكی ولديه استعداد ليتعلم .

رأيناه نحن لأول مرة فى الصباح التالى مباشرة . لقد جاء الى الاسطبل ليتعلم قدر ما يستطيع قبل أن يحين وقت رحيل جيمس . لقد تعلم كيف يرفع التبن والقش وينظف الاسطبل، وكان على جيمس أن يدرب جو كيف يسوس الخيل من خلال ميرى ليجز لأنه كان صغيرا لا يستطيع الوصول لى أنا وجينجر . لم يكن مارى ليجز سعيدا بهذا وكان يقول عنه «انه طفل لا يفقه شيئا » . لكن بعد اسبوعين، كان عليه أن يعترف هو أيضا بأن جو جرین يتعلم بسرعة وأنه سوف يبلى بلاء حسنا .

وفى يوم رحيل جيمس، بدا مبتلسا للغاية إلا أنه لم يحاول إظهار شعوره . قال لجون انه سوف يفتقد كثيرا الخيول التى





ريابها وأحبها وكذلك أسرته وأصدقاءه . وحاول جون أن يخفف عنه فقال له إن أسرته ستكون فخورة به فى وظيفته الجديدة وأنه سرعان ما يلتقى بأصدقاء جدد .

شعرنا جميعا بالحزن لرحيل جيمس . كان مارى ليَجْزَّ مهموما لدرجة أنه رفض الطعام لأيام عديدة، فكان جون يأخذه كل يوم الى الحقول ليركض حتى بدأ يشعر بالسعادة مرة أخرى . لقد كان جيمس صديقنا الحميم الذى يعاملنا دائما بعطف كبير، فكان من الصعب علينا أن نصدق أننا لن نراه ثانية أبدا .

الفصل الثالث عشر

سباق ضد الزمن

ذات ليلة بعد رحيل جيمس بفترة غير طويلة، وفى وقت متأخر، كنت قد نمت سريعا فى فراشى القش عندما استيقظت فزعا على صوت جرس. كان الصوت عاليا لدرجة أننى استيقظت تماما. سمعت جون يجرى نحو الزدهة. بعد دقيقتين أو ثلاثة عاد وفتح باب الاسطبل فى عجلة وقال:

- هيا يا بيوتى! الآن ينبغى عليك أن تعدو بأقصى ما تستطيع من سرعة.

وقبل أن يمنحنى فرصة للتفكير كان جون قد وضع سرجى ولجامى وقادنى الى الزدهة. رأيت الخادم يقف بجوار الباب وفى يده مصباح وقال:





السيدة مريضة جدا، وحياتها فى خطر. اركض بأقصى سرعة وسلم الرسالة الى دكتور وايت. اعمل على منح الحصان بعض الراحة فى الفندق الصغير ثم عد بسرعة قدر ما تستطيع.

وعندما وصلنا الى الطريق قال جون بهدوء:

- ابذل أقصى ما تستطيع من جهد يا بلاك بيوتى. فحياة السيدة متوقفة عليك.

عندما سمعت تلك الكلمات عرفت ما ينبغى على القيام به. فركضت على الطريق بأقصى ما استطعت من سرعة. كنت قد عدت لمسافة ميلين عندما وصلنا الى الجسر، فريت جون على عنقى وجذب اللجام برقة ليبطئ من سرعتى قليلا وقال:

- أحسنت يا بيوتى، الآن، على رسلك.

لكنى لم أستطع الابطاء، فقد كنت متحمسا وركضت بنفس السرعة التى كنت أركض بها من قبل.

وصلنا منزل دكتور وايت فى الثالثة صباحا. طرق جون الباب ودق الجرس حتى جاء الطبيب أخيرا الى النافذة ليرى ماذا يريد. أخبر جون دكتور وايت أن السيدة فى أشد الحاجة إليه لأنها مريضة جدا. وانتظرناه بالباب حتى نزل.



جاء دكتور وايت بعد عدة دقائق وأعطاه جون الرسالة، ثم سأل دكتور وايت اذا كان من الممكن أن يمتطينى الى بيرتويك بارك لأن حصانه مريض. كان جون يعلم أنني منفلج جدا ومتعب للغاية، لكنه كان يعرف كم هو مهم للطبيب أن يكون الى جانب السيدة.

لم تكن رحلة العودة الى البيت سهلة بالنسبة لى. فقد كان دكتور وايت رجلا عجوزا ولا يجيد ركوب الخيل. لكننى بذلت أقصى ما فى وسعى وسرعان ما وصلنا الى بيرتويك بارك. كان الجو، فى إنتظارنا عند البوابة. دخل الطبيب الى المنزل مع سيدى بينما دخلت أن الاسطبل مع جو. كنت ممثنا بالعودة للبيت فقد كنت ألهث وكانت سيقانى ترتجف.

كان جسدى كله ساخنا جدا ومبتلا من العرق. أحضر جو قطعة قماش ومسح صدرى وسيقانى المتعبة، لكنه لم يضع بطانيتى الدافئة على ظهرى. لقد ظن أنني كنت ساخنا جدا ولا أحتاج الى بطانية. وأحضر لى بعض الذرة والتبن وقليل من الماء البارد، ثم أغلق باب الاسطبل وتركنى طوال الليل معتقدا إنه فعل كل ما هو صواب من أجل راحتى. لم يمض وقت طويل حتى بدأت أشعر بالبرد الشديد وبدأت أرتجف وأرعد. ألمتنى سيقانى وآلمنى صدرى وشعرت بالوجع يسرى فى جسدى كله. كم كنت أتوق الى بطانيتى وكم تمنيت أن



يأتى جون، لكننى كنت أعلم أنه مازال يمشى عائدا من منزل الطبيب، لذا حاولت النوم وأنا راقد على القش .

مضى وقت طويل حتى وصل جون إلى الاسطبل . كنت أشعر بألم شديد فلم أصدر سوى صوت أنين منخفض سرعان ما كان جون إلى جوارى، وعلى الرغم من إننى لم أستطع أن أخبره، إلا أنه عرف فى الحال ما كنت أشعر به .

وضع على بطانيتين أو ثلاث، وذهب الى المنزل ليحضر لى بعض الماء الدافئ . وسمعته يهمس ان جو جرين كان غيبا لأنه لم يضع بطانيتى على، ولم يعطنى طعاما دافئا آكله، وماء دافئا أشربه .

كنت مريضا جدا . أصابنى التهاب حاد فى الرئتين وكل نفس كان يؤلمنى . بقى جون بجانبى يرعانى ليلا ونهارا، كما كان سيدى يأتى ليطمئن على كل يوم .

كان يقول: مسكين يا بلاكى، أنت الذى أنقذت حياة السيدة، والآن أنت نفسك مريض .

شعرت بفخر لأننى أنقذت حياة سيدتى وسمعت جون يقول انه لم ير طيلة حياته حصانا يجرى بأسرع مما كنت أجرى .



ظللت مريضا لفترة طويلة لكن فى نهاية الأمر بدأت
أشعر بتحسن. جاءنى طبيب الخيول عدة مرات بالدواء وهو
ما ساعدنى على التخلص من الالتهاب.

وظل جون غاضبا من جو جرين لمدة طويلة، لكنه أدرك
أخيرا أن الصبى لم يتعمد اىذاءى، ولم يكن يعرف ما الذى
يجب أن يفعله.

الفصل الرابع عشر

الرحيل عن بيتنا السعيد

بعد أن قضيت ثلاث سنوات فى بيتى السعيد فى بيرتويك بارك، كان لدى شعور أن شيئاً محزناً سوف يحدث. لقد عرفنا منذ فترة أن السيدة كانت مريضة. كان القلق يبدو على السيد والطبيب يأتى إلى المنزل عدة مرات أسبوعياً. ثم سمعنا الخبر الرهيب. قال الطبيب أن السيدة بحاجة إلى الانتقال إلى جو دافئ لبضع سنوات وأنها يجب أن تنقل بأسرع ما يمكن. قام السيد بإجراء الترتيبات اللازمة للانتقال بقدر ما فى استطاعته من سرعة وشعر كل من فى البيت بالنعاسة.

كان جون يودى عمله، لكنه كان قليل الكلام ونادراً ما يبتسم، ولم يكن جو يتكلم على الإطلاق. وسرعان ما عرفت



أنا وجينجر أين سيكون منزلنا القادم . باعنا السيد إلى صديق قديم اعتقد أنه سوف يكون سيدا طيبا . بينما كان قس البلدة يرغب فى السيسى فأعطاه السيد ميرى ليجز بشرط ألا يباع مرة ثانية أبداً، وعندما يتقدم فى السن ويصبح غير قادر على العمل، يطلق عليه الرصاص ويدفن .

جاء يوم رحيل السيد والسيدة من بيرتويك بارك . أحضرت أنا وجينجر العربة إلى باب الردهة للمرة الأخيرة . أحضر الخدم السجاد ولوازم المنزل، وعندما تم تنظيم كل شئ، نزل السيد حاملا السيدة ووضعها فى العربة، ثم التفت إلى الخدم وقال وداعا وشكرا على خدمتكم المخلصة .

رحلنا إلى محطة السكة الحديد بايقاع بطيء، وعندما وصلنا أخيرا إلى المحطة قالت السيدة : «الوداع، ليباركك الله يا جون، سوف نذكرك دائما،

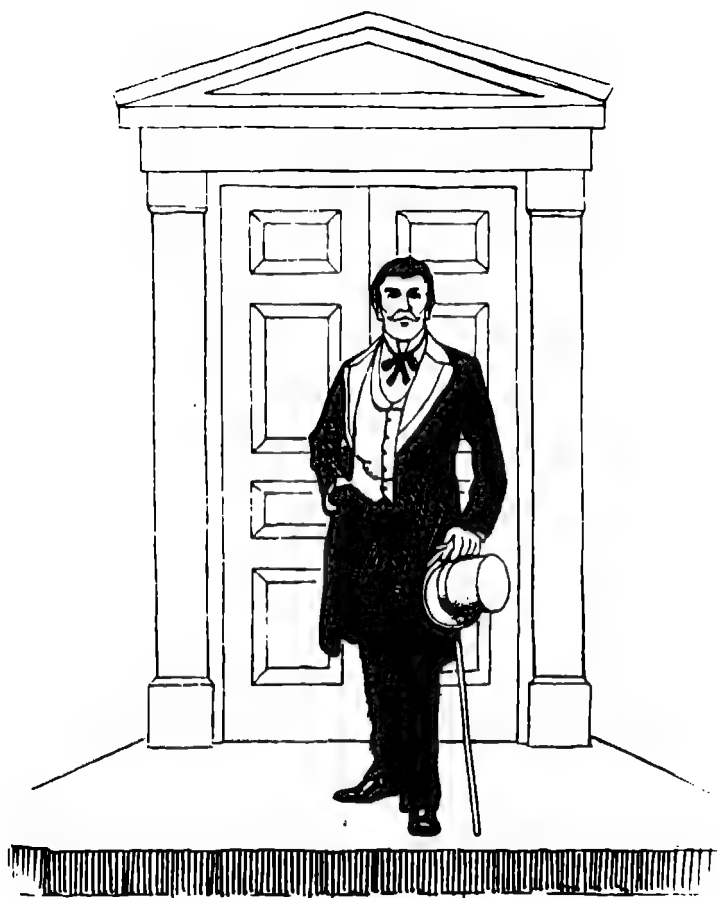
لم يرد جون لكننى كنت أشعر باللجام يرتجف فى يده وكنت أعرف أنه غير قادر على الكلام . عندما أنزلوا كل شئ من العربة، ذهب جون إلى الرصيف وجاء جوليقف بجوارنا . وضع جو وجهه بالقرب من رأسنا ليخفى دموعه . مسكين جو! كم كان حزينا! سرعان ما جاء القطار إلى المحطة . بعد برهة، أغلقت الأبواب، وانطلقت صفارة ثم تحرك القطار مبتعدا . وسرعان ماتوارى عن الأنظار .





وعندما عاد جون قال: «لقد رحلوا!! لن نراهم مرة ثانية
أبدا،

تركنا المحطة بقلوب حزينة، وجلس جو بجوار جُون
يقودان العربة بنا إلى بيرتويك بارك.

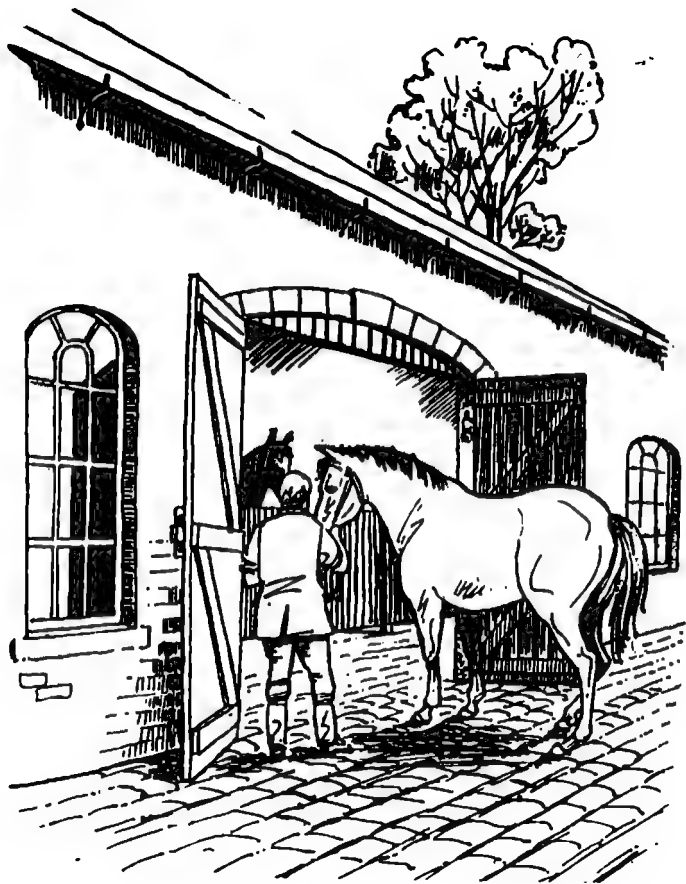


الفصل الخامس عشر

ايرلشال بارك

بعد إفطار صباح اليوم التالى حان وقت رحيلنا . صهل
ميرى ليجز من الجانب الآخر للفناء بينما جاء جوليو دعنا .
وضع جون زمام الركوب فوقى بينما وضع السرج واللجام
على جينجر . ثم اقتادنا إلى بيتنا الجديد فى ايرلشال بارك .

عندما وصلنا إلى هناك ، طلب جون التحدث مع مستر يورك .
مر وقت طويل إلى أن أتى ليقابلنا . كان صوته صارما
ويرتدى ملابس أنيقة . ألقى نظرة سريعة على أن وجينجر ثم
أخذنا سائس إلى الاسطبل . كان الاسطبل منيرا وجيد التهوية ،
ووضعنا السائس فى مربطين متجاورين . بعد حوالى نصف
ساعة جاء مستر يورك وجون إلى الاسطبل وتكلما بشأننا . كان



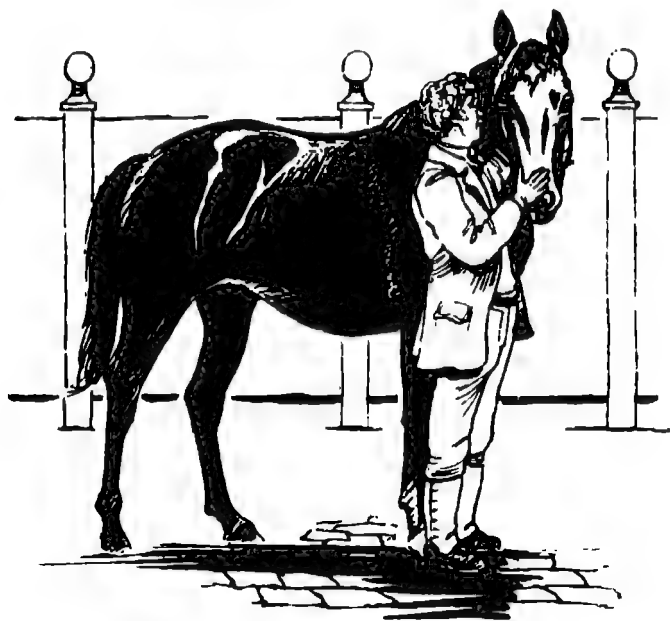
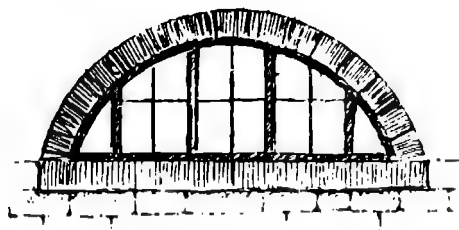
مستر يورك يريد أن يعرف إذا كان لدينا أية عادات سيئة أو إذا كانت هناك أشياء معينة نحبها أو نكرها. أخبره جون أننا نعمل بروح الفريق وأننا نجتهد إذا لقينا رعاية ومعاملة طيبة كما أخبره بحياة جينجر الشاقة وحذره من أنها قد تعود إلى طباعها السيئة إذا أسيت معاملتها. وبينما كانا يتركان الاسبل توقف جون وقال :

«أعتقد أنك يجب أن تعرف أننا لم نستخدم أبد الزمام الكابح مع أى من هذين الفرسين. أخبرنا التاجر أن شكيمة الغم هي التي أفسدت طباع جينجر. أما الفرس الأسود فلم يضعها على الإطلاق،

قال يورك: « أنا شخصيا أفضل الزمام الرخو، كما أن المالك متفهم للخيول. لكن للأسف أن زوجته لديها أفكار مختلفة. فعندما تخرج فى العربة تصر على أن تكبح الخيل بشدة لأنها تريد أن تسير الموضنة، فى هذه الحال سوف يجب عليهما وضع الزمام الكابح،

قال جون: «أنا حزين جدا لسماع ذلك لكن أرجو أن ترعى الفرسين جيدا وتعاملهما معاملة طيبة،

ثم جاء جون إلينا وهمس بكلمات طيبة ودودة: كان صوته يرتجف وبدأ حزينا جدا.



لم أعرف كيف أقول وداعا، لكننى وضعت رأسى بالقرب منه وحسب، بعد لحظات قليلة رحل جون ولن أراه مرة أخرى أبدا.

وعندما جاء مالكتنا الجديد ليرانا فى اليوم التالى كان سعيدا بنا. أحبره مستر يورك بما قاله جون بشأن الزمام الكابح. استمع إليه بتعقل وقال أنه فهم الأمر. ومع ذلك، ولما كانت زوجته تصر على استخدام الزمام الكابح، فقد كان على مستر يورك أن يعودنا عليه بعض الوقت.

وفى اليوم التالى، أسرجنا مستر يورك أنا وجينجر وربطنا إلى العربة.

جاءت السيدة؛ كانت طويلة وترندى ملابس جميلة. نظرت إلينا وبدا أن شيئا ما كان يقلقها، لكنها ركبت العربة ولم تتكلم.

كان الزمام الكابح غير مريح لأننى لم أكن قادرا أن أنزل رأسى عندما أريد ذلك، لكنه على الأقل لم يرفع رأسى إلى أعلى من المستوى الذى اعتدت عليه. كانت جينجر هادئة وثابتة، لكننى كنت قلقا بشأنها.

فى اليوم التالى، لبسنا السرج مرة أخرى وربطنا إلى العربة. جاءت السيدة وقالت:





«أنا لا يعجبني منظر هذين الحصانين يامستر يورك، ارفع رأسيهما أعلى من ذلك،

حاول يورك أن يشرح لها أننا لسنا معتادين على الزمام الكابح، لكنها أمرته أن يضيقه.

لم يمض وقت طويل حتى أدركت أن كل القصص المربعة التي سمعتها من الخيول الأخرى التي تجر العربات كانت حقيقية.

كل يوم يمر كان الزمام يضيق أكثر وأكثر حتى أصبحت أتوجس خيفة من وضع السرج. كان جر العربة في المرتفعات شاقا علينا. كان علينا أن نجرها ورأسانا مرفوعتان إلى أعلى وهو أمر مؤلم للغاية. لقد أدى ذلك إلى آلام شديدة في سيقاننا وظهورنا، فبدأت رוחي المعنوية تنخفض وبدأت جينجر تزداد اضطرابا، فكانت لا تتحدث على الإطلاق.

وعلى مدى الأيام القليلة الماضية، لم يكن هناك المزيد من تضيق للزمام، وظننت أننا تخطينا أسوأ شيء. لكن كان هناك ما هو أسوأ من ذلك.

الفصل السادس عشر

معاملة قاسية

ذات يوم جاءت السيدة بعد الظهر متأخرة عن الموعد اليومي المعتاد لركوب الخيل. كانت هناك نظرة غاضبة على وجهها وأمرت يورك أن يرفع رأسها أعلى من ذلك. جاء إلى وأوثق زمامي إلى درجة أن رأسي كان مشدود للوراء في وضع لا يحتمل. أدركت جينجر أنه سوف يفعل بها نفس الشيء وبدأت ترمي رأسها لأعلى وأسفل نجح يورك أن يحل زمامها ليضعه أقصر، وفي هذه اللحظة شبت جينجر لأعلى على غير توقع حتى أنه أصيب في أنفه وكاد السائس يسقط على الأرض. حاولوا تهدئتها في الحال إلا أن جينجر ظلت تشب وترفس وتلقى بنفسها هنا وهناك. في النهاية ارتطمت جينجر بعמוד العرية وسقطت. وربما أنها كانت سوف تسبب



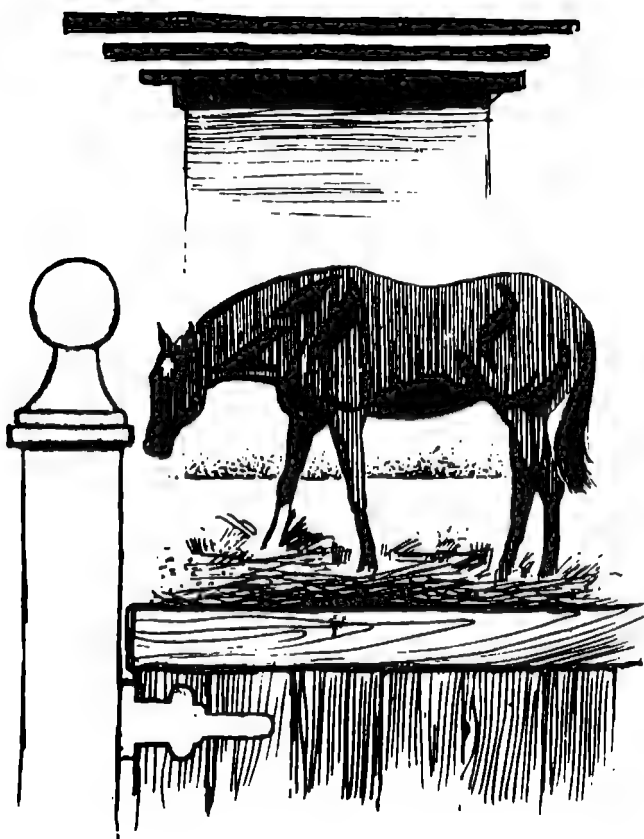


المريد من الخسائر إذا لم ينزل يورك رأسها ليمنعها من المقاومة.

ثم تمكن السائس من أن يحلنى من جينجر والعربة وأعادنى إلى الاسطبل. بعد ذلك بقليل، أحضر سائسان جينجر إلى الاسطبل. كان بها العديد من الرضوض والكدمات. جاء يورك ليطلعن علينا وكان مهموما لما حدث. وكان متبرما من عالم أصبحت فيه الموضه أهم من الكائنات الحية، وتمنى لو أنه لم يقم بتضييق الزمام. وبمجرد أن شفيت جراح جينجر أخذها أحد أبناء السيد للصيد، فلم تعد تربط إلى العربة مرة أخرى أبدا.

أما أنا فمازال ينبغي على أن أجز العربة، لكن الآن لى شريك جديد.

من المستحيل أن أصف لكم مقدار الألم الذى عانيته على مدار أربعة شهور طوال بسبب ذلك الزمام. إذا كان الوضع قد استمر أكثر من ذلك فمن المؤكد أننى سأفقد صحتى وطباعى الحسنة. إن شد الشكيمة الحادة فوق لسانى وفكى جعل فمى يزيد، كما أن الوضع غير الطبيعى لرأسى سبب ضغطا على رئتى وجعل تنفسى مؤلما للغاية. عندما أعود إلى الاسطبل كنت أشعر بالتعب الشديد، وصدري ورقبتى يؤلماننى،



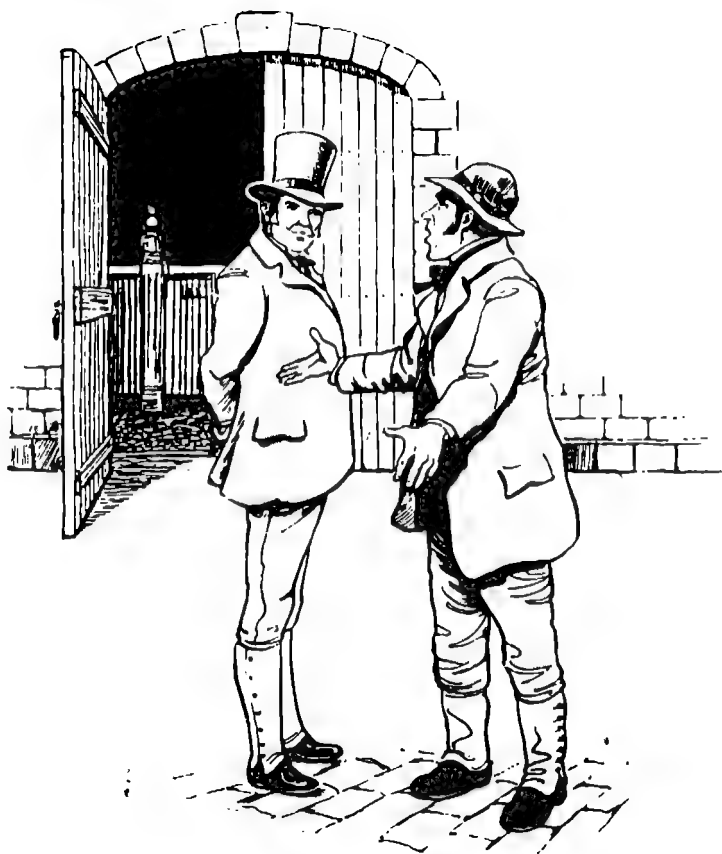
ويسرى الرجوع فى فمى ولسانى . شعرت باكتئاب وتمكنى
اليأس .

فى بيتى القديم ، كان جون والسيد أصدقائى ، لكن هنا
ليس لى أصدقاء . فلا بد أن يورك كان يعلم ماأعانى لكنه لم
يفعل أى شىء ليماعدنى .

الفصل السابع عشر

فى رعاىة روبىن سميث

كان يورك يرحل أحيانا فى رحلة عمل. فى هذه الحال كان يترك الاسطبلات فى رعاىة رجل يدعى روبىن سميث. كان روبىن رجلا طيبا عطوفا يعرف كيف يرعى الخيل بطريقة سليمة، لكنه أيضا كان لديه مشكلة. فقد كان أحيانا يشرب الخمر حتى الثمالة، وعندما يكون شديد السكر لا يمكن الاعتماد عليه، فان سلوكه يكون مخزيا ومزعجا للجميع. كان يورك يعرف المشكلة لكنه قرر أن روبىن سوف يكون أهلا للثقة لأنه وعده أنه لن يمس نقطة خمر واحدة عندما يكون مسئولا عن الاسطبلات.



كان من المتوقع أن تعود الأسرة إلى ايرلشال بآرك فى مايو، وفى يوم فى أوائل أبريل أرسلوا روبين إلى البلدة لانجاز بعض المهام. كان على أن أكر العربة. سرنا بتؤدة وثبات، وعندما وصلنا هناك أخذنى سائس إلى اسطبل لآكل وأستريح قبل رحلة العودة إلى البيت.

كنت أشعر بأن هناك مسمارا مفكوكا فى أحد حدودى الأماميتين إلا أن سائس الاسطبل لم يلحظ ذلك. عاد روبين إلى الاسطبل بعد عدة ساعات، وقال أنه مازال أمامنا ساعة على الأقل قبل أن نبدا رحلة العودة لأنه يريد قضاء بعض الوقت مع أصدقاء له كانوا أيضا بالبلدة. قبل ذلك بوقت قليل لاحظ السائس أن هناك مسمارا مفكوكا بحدوتى ومأل روبين ما الذى ينبغى أن يفعله حيال ذلك.

قال روبين: "لا تفعل شيئا، سوف أقوم باللازم عندما نعود إلى البيت. سوف يكون على ما يرام حتى نصل إلى هناك،

اندهشت عندما سمعت روبين يقول هذا لأنه كان دائما يهتم بهذه الأمور فى الماضى. كان يتحدث بصوت عال وغاضب وكان يبدو فى حالة مزاجية سيئة. ثم ذهب.

عاد روبين فى التاسعة مساء وكان واضحا أنه أسرف فى الشراب. كان الظلام مازال حالكا عندما بدأنا رحلة العودة.





ولم تكن قد غادرنا البلدة بعد عندما جعلنى روبين أركض على طريق حجرى . ومع هذا العدو السريع انخلعت الحدود المفكوكة . أنا متأكد أنه لو لم يكن روبين ثملا إلى هذا الحد لكان قد لاحظ ذلك على الفور وأبطأ من سرعتى . لكن بدلا من ذلك ، ظل يعدو بى أسرع وأسرع حتى بدأت قدمنى تؤلمنى بشدة . لقد شقت الصخور ظهر حافرى وانشقت الجوانب وتكسرت ، فكان الاستمرار مستحيلا .

كان الألم أشد من قدرتى على الاحتمال ، فتعثرت بشدة وسقطت على ركبى بقوة لدرجة أن سقط روبين من فوقى . سمعت صوت ارتطام قوى عندما سقط جسده على الأرض . فتحاملت فورا على أقدامى وتمكنت أن أعرج إلى جانب الطريق . عندئذ كان القمر قد ارتفع واستطعت أن أرى روبين راقدًا فى منتصف الطريق . وسمعته يتأوه لكنه كان ساكنا تماما .

كنت فى شدة الألم لذا وقفت على الطريق منتظرا فى ليل أبريل الهادئ . وتذكرت الأيام الماضية عندما كنت أرقد على المروج الخضراء ، وأمى إلى جوارى .

وبينما كنت واقفا أنصت إلى صوت خيول أو عجلات عربات أو وقع أقدام . كان ألمى يشتد . كم تمنيت أن يأتينا الفوت سريعا .





الفصل الثامن عشر

نتائج مأسوية

مر الوقت بطيئا ولا بد أنه كان منتصف الليل تقريبا عندما سمعت وقع حوافر حصان على الطريق . تصورت أنني عرفت خطوات جينجر وأطلقت صهيلا عاليا عندما تأكدت من أنها هي . أبطأت العربة الآن وتوقفت عندما وصلت إلى الجسم المظلم الراقد على الأرض بلا حراك . نزل أحد الرجلين من العربة وركع بجوار روبين . بعد دقيقة أو اثنتين قال :

«انه ميت . يداه باردتان . أخشى أن روبين قد مات»

كان شعر روبين غارقا في الدماء ولم تكن هناك أى علامة للحياة عندما رفعه الرجلان بعدما أرقداه ثانية ، جاء ليفحصانى ، فوجدا ركبي مجروحة وقدمى مضارة بشدة . ولم



يستغرقا وقتا طويلا ليستنتجا ماذا حدث أو ليدركا أن روبين هو الذى تسبب فى وفاته بسكره الشديد.

ان هى إلا لحظات حتى بدأنا رحلتنا الحزينة إلى البيت. كنت أشعر بألم شديد وأنا أعرج ببطء إلى الاسطبل. عندما وصلت إلى هناك، غسلوا قدمي وضمدوها، ولفوا قطعة قماش رطبة حول ركبي. وعلى الرغم من الألم الرهيب، تمكنت من الاستلقاء على القش الناعم والنوم. جاء طبيب الخيول فى اليوم التالى ليفحص سيقاني. قال الطبيب إن جراحى سوف نلتئم مع الوقت لكنها ستترك أثرا دائما على ركبي. لقد بذلوا أقصى ما فى وسعهم لعلاجي لكن آلامى كانت شديدة. فقاموا بكى ضمادات الجروح على ركبي باستخدام مرهم قوى. وبعد أن التأم، وضعوا علاجاً للبثور على مقدمة ركبتى لنزع كل الشعر الذى يغطيها. لأعرف لماذا فعلوا ذلك، لكن لابد أنه كان لديهم سبب.

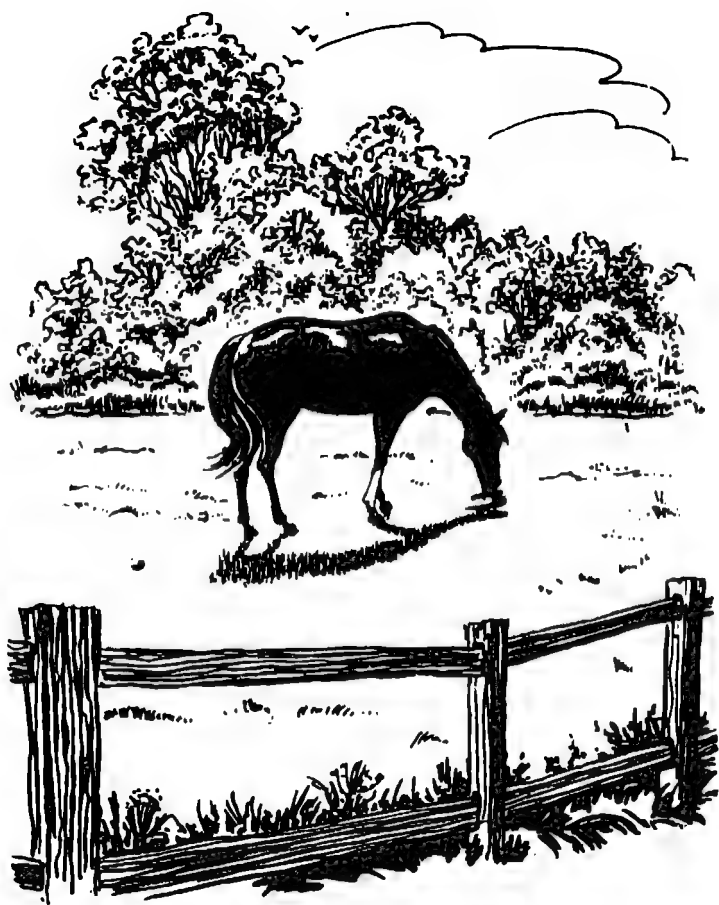
أجرى تحقيق لأن موت روبين كان مفاجئا ولم يكن هناك شهود. شهد حارس الفندق أن روبين كان ثملا للغاية فى تلك الليلة وأتينا غادرنا البلدة وأنا أركض بسرعة كبيرة. وتم العثور على حدودى بين الأحجار، فكان سبب الوفاة واضحا تماما، ولم أكن ملوما على ما حدث.



الفصل التاسع عشر

أصبحت حطاما معروضا للبيع

بمجرد أن التأمت جراحى، أخذونى إلى حقل صغير. كنت مستمتعا بالحرية والحشائش الخضراء، لكننى كنت أشعر بوحدة شديدة لأنه لم يكن معى أى حيوانات أخرى. افتقدت جينجر كثيرا لأننا كنا قد أصبحنا صديقين حميمين. عندما كنت أسمع صوت خيول مارة على الطريق غالبا كنت أصهل لكن نادرا ما كان يأتينى أى رد. فى يوم من الأيام، أحضروا جينجر إلى الحقل، فصهلت فى فرح عندما رأيتها قادمة نحوى. ولكن سرعان ما عرفت أنها لم تأت للحقل لتكون رفيقا لى. قد يستغرق الأمر وقتا طويلا لأحكى حكايتها، لكن انتهى الأمر بجينجر مدمرة ومحطمة بسبب سوء الاستخدام.





وهى موجودة فى الحقل الآن لترى ماذا يمكن للحرية وقسط
من الراحة أن يفعل بها.

نظرت جينجر إلى بحزن وقالت: «ان الحياة شاقة بالنسبة
لنا، فها نحن، حطام ونحن فى ريعان الشباب،

على الرغم من أننا كنا نعلم أننا لم نعد كما كنا من قبل،
إلا أننا استمتعنا بصحبة أحدنا الآخر. لم نعد الآن نركض أو
نلعب كما كنا نفعل ذات يوم، لكننا نقضى أيامنا فى أكل
الحشائش النضرة والوقوف متجاورين تحت ظلال الأشجار.

بقينا سويا أنا وجينجر لبعض الوقت حتى عاد السيد من
رحلة طويلة. جاء إلى الحقل مع يورك وفحصانا بإمعان. وبدأ
على السيد الانزعاج الشديد وقال:

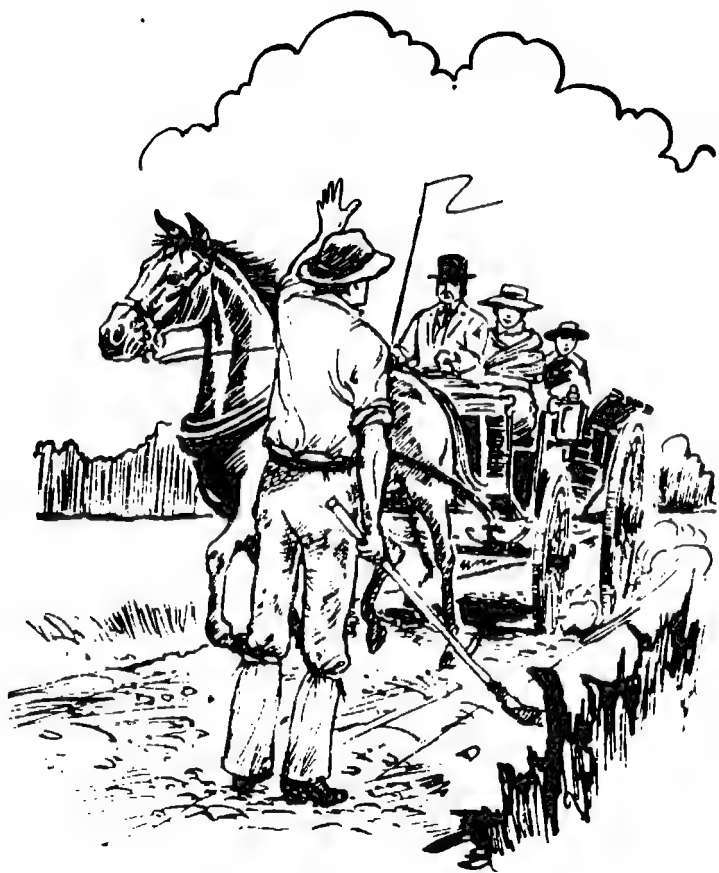
«لقد أعطانى صديق عزيز هذين الحصانين لأنه كان
يعتقد أنهما سيحظيان ببيت مريح عندى. لكننى أرى الآن
أنهما قد صارا حطاما. ومع ذلك، سوف نبقى جينجر هنا
لعدة شهور أخرى ثم نرى كيف ستكون حالتها. لكن الفرس
الأسود لابد أن يباع. أنه أمر مؤسف لكن لا يمكن أن يكون
فى اسطبلى حصان له هذه الركب،. كان السيد مقتنعا بأن
يبيعنى إلى رجل يعرفه يورك، كان يعتقد أنه سوف يحسن
معاملتى وإن يعترض على ركبى المصابة.

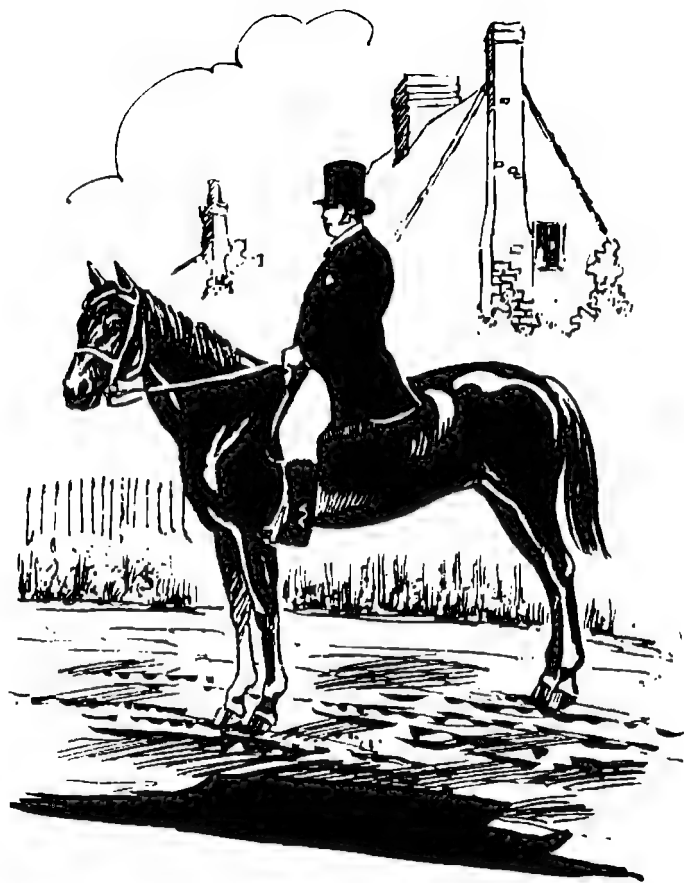


ذهبت بالقطار إلى مدينة أخرى. كان الاسطبل الجديد دافئا ومريحا، لكنه يبدو صغيرا بعض الشيء مقارنة بما اعتدت عليه من قبل. كان هناك الكثير من الخيول والعربات التى يؤجرها مالكي الجديد، وأحيانا يركبها رجاله بأنفسهم، وفى أحيان أخرى يركبها السيدات والرجال الذين يستأجرونها.

وقيل أن أتى إلى هذا المكان لم يمتطينى أبدا إلا أشخاص يجيدون ركوب الخيل. لكن هنا، كان الأمر مختلفا؛ فقد ركبني كل أنواع البشر.

وفى يوم من الأيام، استأجرتنى رجل وأسرته. بمجرد أن انطلقنا شد اللجام، وعلى الرغم من أننى كنت أسير بسرعة مناسبة، إلا أنه ضربنى بالسوط عدة مرات. انحشر حجر فى حافرى الأمامى إلا أن هذا الرجل لم يلحظ. لقد كان مشغولا جدا بالضحك والحديث. أى شخص يجيد ركوب الخيل كان سوف يلحظ أن هناك شيئا ما بمجرد أن أخطو بضع خطوات، لكننا قطعنا أكثر من نصف ميل قبل أن يلحظ أننى كنت أعرج. وتم اخراج الحصوة من حافرى المكدود على يد فلاح طيب أوقفنا فى الطريق. عندما كنت أستأجر كحصان عمل، كان لدى الكثير من التجارب المؤلمة من هذا النوع.





وفى يوم من الأيام، وبعد أسابيع وأسابيع من هذا
الاستخدام القاسى استأجرت رجل محترم ركبنى بمهارة
شديدة. لقد كانت راحة كبيرة أن يركبنى أحد بهذه المهارة،
وأستطيع أن أقول أن الرجل قد أعجب بى، لذا فقد بذلت ما
فى وسعى من أجله . لقد ذكرنى بالأيام الخوالى، فكنت
سعيدا .

بعد ذلك اليوم . جاء الرجل عدة مرات ليجرب أن
يمتطينى وأنا أرتدى السرج . كان يبحث عن حصان آمن
حسن الطباع ليركبه صديق له . فى ذلك الصيف، باعنى
سيدى إلى مستر بارى .



الفصل العشرون

لص يسرق طعامي

كان مستر بارى، سيدى الجديد، رجل أعمال يعيش بمفرده فى منزل صغير، وقد نصحه طبيبه بركوب الخيل. استأجر سيدى سائسا يدعى فيلشر، وعشت فى اسطبل بالايجار بالقرب من المنزل. عاملنى السيد معاملة طيبة على الرغم من أنه لم يكن يعرف الكثير عن الخيل. وأمر بإحضار شوفان وفول مجروش ونخالة وكمية وفيرة من أجود أنواع التبن من أجلى. واعتقدت أننى محظوظ للغاية عندما سمعته يأمر بكل هذا الطعام. وسار كل شىء على مايرام لثلاثة أو أربعة أيام.

كان فيلشر يحافظ دوما على نظافة الاسطبل، كما كان يغسل جسمى وينظفنى بالفرشاة. لكن بعد مرور بعض الوقت،



بدأت أدرك أن هناك شيئاً ما غير صحيح فى طعامى . فقد كنت أتناول الفول والنخالة ، لكننى لم أكن أحصل على كفايتى من الشوفان . بعد عدة أسابيع اعترانى شىء من التغيير . أصبحت ضعيفا ولكن بالطبع لم أستطع أن أخبر أى أحد بما يحدث لطعامى .

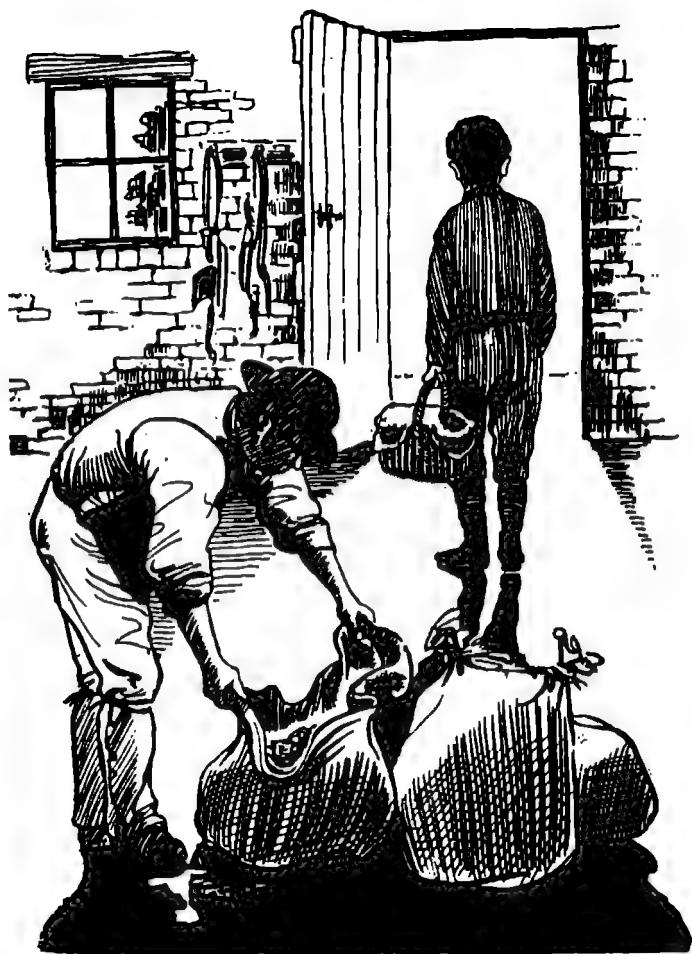
مرت شهور وأنا مندهش كيف لم يلحظ سيدى أن هناك خطأ ما . ثم ذات يوم ركبنى السيد بعد الظهر إلى الريف لزيارة صديق . كان هذا الصديق على دراية واسعة بشئون الخيل . فنظر إلى مليا وقال :

«ان فرسك لا يبدو لى فى حالة جيدة . لا أود أن أقول ذلك لكنى أعتقد أنه لا يأكل جيدا،

قال له السيد انه لا يأتى لى الالباجود أنواع الطعام . تدبرا الأمر لحظات ثم أيقن السيد أن شيئا ما يحدث لطعامى .

لو أننى كنت أستطيع الكلام لحكيت له عما يحدث للشوفان . كل صباح يجئ السائس مع صبى صغير يحمل سلة مغطاة ، فيضعان بعض الشوفان الخاص بى فى السلة ثم يأخذها الصبى ويذهب إلى المنزل .

وذات صباح ، بعد أسبوع من زيارة السيد لصديقه ، جاء شرطى وقبض على الصبى وهو يغادر الاسطبل . كان الصبى



مذعورا وحاول أن يصرخ لكن الشرطى أجبره على اخباره
أين يخزن الشوفان وكيف كان يملأ سله كل صباح .

ولم يمض وقت طويل حتى تم العثور على فيلشر وأبعد هو
والصبي . وفى وقت لاحق سمعت أنهم أطلقوا سراح الصبي ،
بينما سجن فيلشر لمدة شهرين .



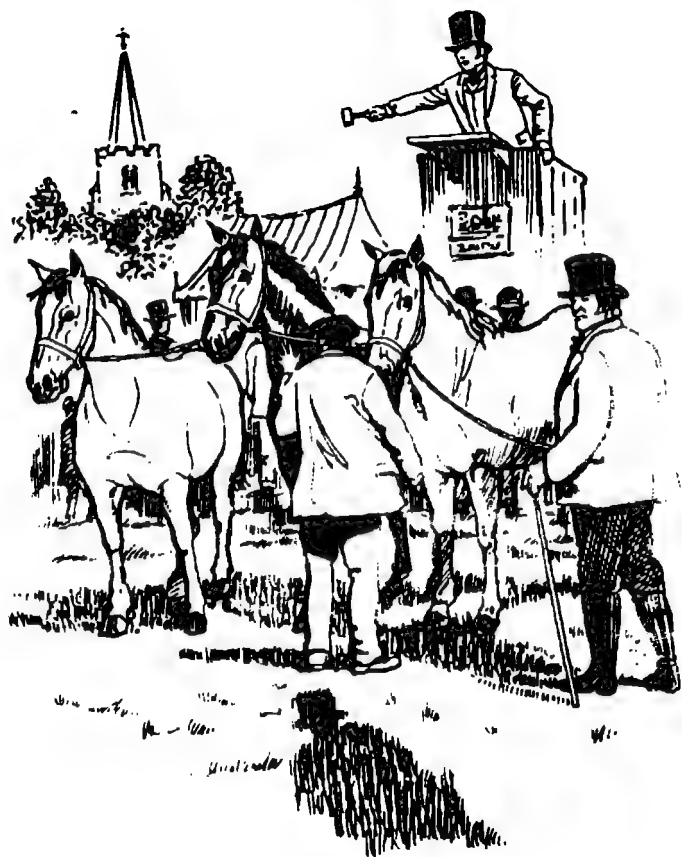
الفصل الحادى والعشرون

للمبيع فى سوق الخيول

استأجر السيد سائسا جديدا بعد أن رحل فليشر. فى البداية، كان السائس الجديد يقدم لى الرعاية الكافية وبدأ أنه الرجل المناسب لى. لكن بمرور الأيام، بدأ يتجاهلنى أكثر وأكثر، فكان نادرا ما يخرجنى لرياضتى اليومية، وغالبا ما كان يترك الاسطبل أسابيع بدون تنظيف. وسرعان ما تسبب وقوفى فى اسطبل فذر رطب فى إصابة حوافرى بالتهاب.

بعد تلك التجارب السيئة، قرر سيدى أن تربية الخيول تجلب الكثير من المتاعب.

وبعد أيام قليلة، عرضنى السيد للبيع فى سوق الخيول. وعلى الرغم من أن السوق قد يكون متعة كبيرة للناس، إلا أنه



مؤلم جدا للحصان . كان على أن أقف مع حصانين أو ثلاثة آخرين فى نفس حجمى وهيكلى . ويتفحصنا الكثير من الأشخاص .

فعلوا جميعا نفس الشيء . أولا فتحوا فمى ليفحصوا أسنانى ، ثم نظروا فى عينى ، وتحسسوا سيقانى من أعلى إلى أسفل . كان بعضهم يفعل كل ذلك بلطف ويتحدث إلى بكلمات طيبة ويربت على ، لكن كان هناك آخرون فى غاية الخشونة ولا يبالون بى .

كان أحد الذين فحصونى رجلا ضئيل الجسم قوى البنيان ، وله عينان رماديتان بهما نظرة طيبة ، وتحدث إلى بصوت رفيق حان تمنيت أن يشترينى . قال إنه سوف يدفع ثمنا مجزيا لكن عرضه لم يلق قبولا وعندما نظرت حولى كان قد اختفى .

كان الرجل التالى الذى فحصنى قاسى النظرات أجش الصوت . خفت أن يشترينى ، لكن لحسن الحظ أنه رحل . ثم جاء رجلان أو ثلاثة آخرون لكنهم لم يقدموا أى عروض . ثم عاد الرجل ذو النظرة القاسية وبدأ يساوم من أجلى . فى هذه اللحظة عاد الرجل الطيب ذو العينين الرماديتين ، فوضعت رأسى بالقرب منه . فربت على برقة وعرض على البائع ثمنا



أغلى كثيرا من العرض الذى قدمه الرجل القاسى . دفع الرجل
النقود فى الحال وأصبح لى سيد جديد . اقتادنى إلى الخارج
وأعطانى بعض الشوفان ثم بدأنا رحلتنا إلى البيت .

كانت رحلة طويلة لكن فى النهاية وصلنا إلى منزل
صغير . أطلق السيد صغيراً ، فانفتح الباب وخرجت منه سيدة
شابة وولد وفتاة صغيران جاءوا لتحيتنا . وسرعان ما ربتوا
جميعاً على وتحذثوا إلى بأصوات رفيعة . كان شعورا رائعا أن
أكون فى هذا المكان .



الفصل الثانى والعشرون

حصان حنطور

كان اسم السيد الجديد جيرمى بيكر، لكن الجميع كانوا ينادونه جيرى. وكانت زوجته تدعى بولى، وهى سيدة جميلة شعرها غامق لامع، ولها عينان لونهما بنى غامق. وكان لهما طفلان، ولد عمره إثنا عشر عاما، وبنت اسمها دوللى عمرها ثمان سنوات. اننى لم أرفى حياتى مثل هذه الأسرة المتحابة.

كان جيرى يمتلك عربة حنطور يقودها فى المدينة، وكان على أن أجز العربة مع حصانه الثانى «كابتن».

جاءت بولى ودوللى لزيارتى فى صباح أول يوم لى فى بيتى الجديد. كانا يريدان أن نصبح أصدقاء وقد أحضرا لى الخبز والفلاح. أنه شعور طيب أن أجد أحدا يربت على ظهري



ويكلمنى مرة أخرى. لقد قالاً اننى حصان وسيم جدا وتساءلا
كيف جرحت ركبى بمثل هذه الجروح الشديدة.

فى وقت متأخر من ذلك اليوم، ربطنى جبرى إلى العربة
لأول مرة. لقد حرص كل الحرص على أن يطمئن أن الطوق
واللجام فى وضعهما الصحيح. لم يكن على أن أقف ورأسى
مرفوع لأعلى لم يكن هناك زمام كابح. كان جبرى يتباهى
بى على سائقى الحناطير الآخرين؛ فقد كان فخورا جدا بى.
قال بعضهم لابد أن بى شيئا ما لأننى أبدو فرسا جميلا. لكن
جبرى كان فقط يربت على عنقى ويبتسم.

كان الأسبوع الأول الذى قمت فيه بجر العربة صعبا للغاية
لأننى لم أكن معتادا على زحام المدينة وضجيجها. لكننى
سرعان ما عرفت أنه بمقدورى الوثوق بجبرى، حتى اعتدت
تدريجيا على الضجيج والهرج والمرج فى الشوارع.

وسرعان ما تعودنا على بعضنا البعض أنا وجبرى الذى
كان يحسن رعايتى أنا وكابتن. كان يقدم لنا الطعام الجيد كما
كان يجعل الاسطبل دائما نظيفا ومريحا. كان العمل كحصان
حنطور عملا شاقا، لكن يوم الأحد كان وقتا خاصا لى أنا
وكابتن لأنه يوم الراحة. أصبحنا صديقين حميمين وبدأت
أشعر أننى أستعيد نفسى مرة أخرى لقد كنت سعيدا فى بيتى
الجديد.



الفصل الثالث والعشرون

جیری بارکر: سید طیب وعاقل

كان سيدى الجديد رجلا طيبا وصالحا. لم أعرف أحدا مثله أبدا من قبل. كان دائما يتمسك بما يؤمن به، لكن لأنه حسن الطباع نادرا ما كان يتشاجر مع أحد. الشيء الوحيد الذى يمكن أن يغضب جيري باركر هو الناس الذين يطالبونه أن يضرب الخيول لتجربى أسرع لمجرد أنهم بدأوا رحلتهم متأخرين.

ذات يوم كان هناك شابان يترنحان خارجين من الفندق صاحبا بجيرى:

«تعال هنا يا أجرة، وأسرع! اننا متأخران. وسوف نحسن مكافأتك إذا أوصلتنا إلى المحطة قبل أن ينطلق قطار الساعة الواحدة،





قال جبرى انه سوف يأخذهما لكن بسرعة آمنة ومقابل الأجرة المعتادة. بعد أن فكرا بالأمر دقيقة أو دقيقتين، ركب الرجلان العربة. شوارع المدينة تكون دائما مزدحمة فى منتصف اليوم يكون من الصعوبة أن يسير أحد بسرعة. ومع ذلك، فانه من المدهش مايمكن لسائق ماهر وحصان ماهر أن يفعلاه عندما يعملان معا بشكل جيد. فعندما نصمم أنا وجبرى على شىء، لا يمكن لأحد أن يتفوق علينا فى اختراق الشوارع المزدحمة. ولقد كان الأمر صعبا جدا فى هذا اليوم بالذات، لكن جبرى كان يقودنى بمهارة شديدة حتى أننا وصلنا إلى المحطة قبل الموعد بخمس دقائق على الأقل. وكان الشابان مسرورين للغاية.

قال أحدهما: «الحمد لله أننا وصلنا فى الوقت المناسب، وشكرا لك يا صديقى العزيز ولحصانك الرائع. انك لن تعرف أبدا ما الذى يعنيه هذا بالنسبة لنا»

حاول الرجلان أن يدفعا لجبرى أكثر من الأجرة المعتادة لكنه رفض وساعدهما فى إنزال الحقائق من العربة. لم يستطع أن يمنع نفسه من التساؤل عما كان شديد الأهمية بهذا القطار بالذات، لكنه شعور طيب أنه قد ساعد الشابين.



عندما عدنا إلى البيت في المساء، حكى جيري لدولي
ويولي عن الرجلين وعن رحلتنا الماهرة في زحام المرور. ثم
ريقت دولي ويولي على كما لو أنهما يشكرانني لأنني وصلت
جيري والرجلين إلى المحطة سالمين. نظفني جيري بالفرشاة
بعناية فائقة وأعطاني بعض الشوفان الدافئ لآكله.

الفصل الرابع والعشرون

رؤية جينجر المسكينة لأخر مرة

ذات يوم، كنت أنا وجيرى منتظرين أمام أحد المنتزهات مع العديد من سائقي الحناطير الآخرين. بعد دقائق قليلة، وقفت بجانبنا عربة قديمة حقيرة نجرها فرسة كستنائية اللون متهاكة. كانت الفرسة فى حالة سيئة للغاية، لاتحملها سيقانها، وتبرز عظام صدرها من خلال جلدها القذر المهمل. ذرت الريح بعض التبن الذى كنت آكله ناحيتها فمدت عنقها الطويل النحيل للالتقطه. ثم استدارت بحثا عن المزيد فاستطعت أن أرى النظرة اليائسة فى عينيها فى نفس اللحظة التى كنت أفكر فيها أننى قد رأيت هذه الفرسة من قبل، حملت هى فى وقالت: «هل هذا أنت يابلاك بيوتى؟»



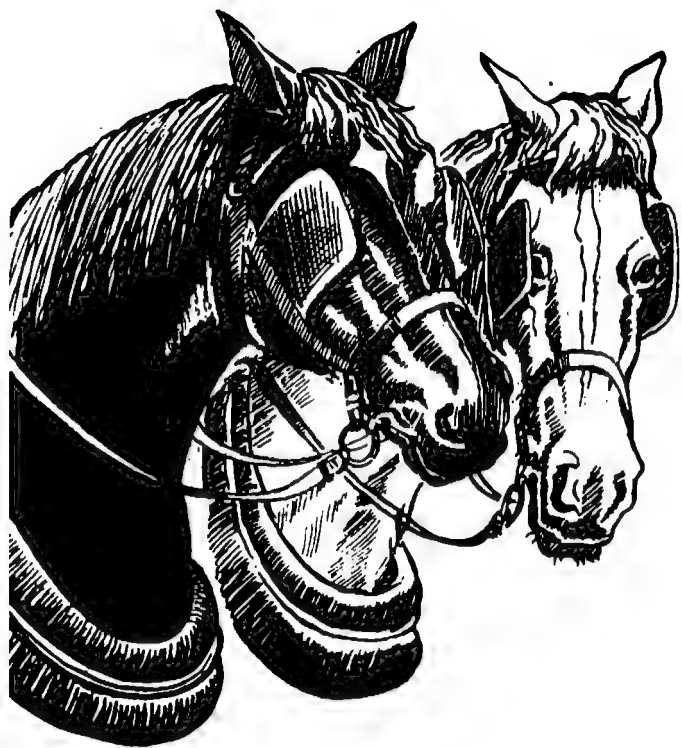


نعم، لقد كانت جينجر! وبدأت تحكى لى كل ماحدث منذ أن كنا معا فى الحقل . قالت لى أنه بعد عام من الراحة أصبحت فى حالة تسمح لها بالعودة للعمل فبيعت إلى سيد جديد . ولمدة قصيرة، كان كل شىء على مايرام . لكن للأسف وبالذات بعد رحلة شاقة وطويلة جرت خلالها بسرعة، التهببت جراحها القديمة . فتركت لفترة راحة قصيرة ثم بيعت مرة أخرى . وتنقلت من مالك إلى مالك حتى انتهى بها المطاف مع رجل لديه خيول وعربات يوجرها للغير .

قالت جينجر بحزن : «عندما أدركوا أن ضعفى أصبح دائما، اشتكوا من أننى لأستحق ما دفع فى من مال، وقرروا ربطى فى عربة أجرة صغيرة على أن يستخدمونى حتى تتلاشى قواى . هذا مايفعلونه بى، اننى أعمل وأضرب بالسياط دون أن أحظى براحة حتى فى يوم الأحد،

قلت : «فى الماضى عندما كان أحد يسىء معاملتك كنت تدافعين عن نفسك،

قالت : «نعم، فعلت ذلك فى الماضى . لكننى أعرف الآن انه لافائدة، فالبشر أقوى منا، وإذا كانوا قساة عديمى المشاعر، فليس هناك ما يمكننا أن نفعله حيال ذلك . نحن لابد أن نعانى حتى نموت اننى لم أعد قادرة على احتمال يوم فظيع آخر فى هذه الحياة أننى أتمنى الموت الآن،



غمرنى الحزن فلم استطع التفكير فى أية كلمات تريحها.
فوضعت أنفى بالقرب من أنفها، وبدت سعيدة لرؤيتى. ثم
تكلمت مرة أخرى:

«بلاك بيوتى، انك كنت دائما صديقى الوحيد،

فى تلك اللحظة وصل سائق العربة التى تجرها وجذبها
بشدة من فمها فأخرجها من الصف وركب مبتعدا. بعد ذلك
مباشرة مرت عربة كارو تحمل حصانا ميتا. كان مشهدا
رهيبا! رأيت رأسا كستنائيا بغرة بيضاء على الجبين يتدلى
من العربة والدماء تتساقط من اللسان. أظنها كانت المسكينة
جينجر. على الأقل سوف تنتهى متاعبها الآن. أعتقد أنه
سيكون أكثر راحة بنا أن يرمونا بالرصااص قبل أن نصل إلى
كل هذا البؤس والمعاناة.

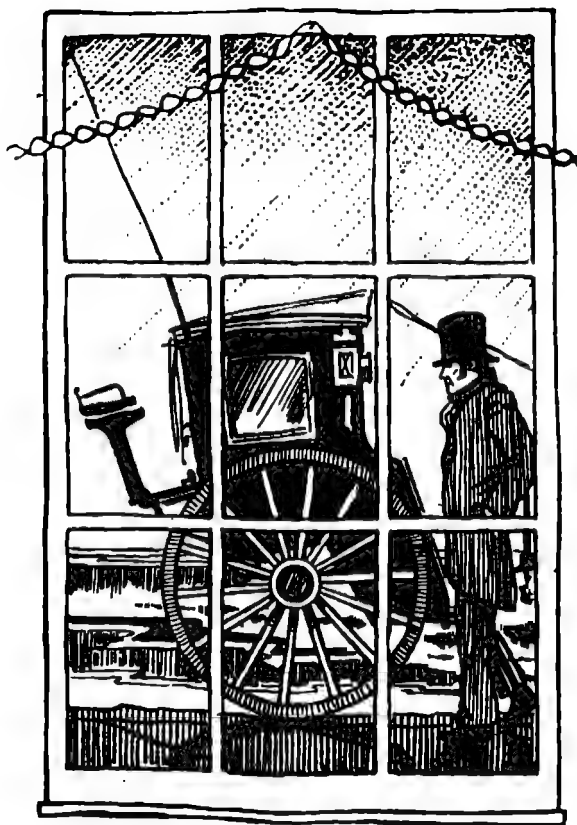


الفصل الخامس والعشرون

وداعاً للأسرة المحبة

على الرغم من أن أيام الأجازات كالكريسماس ورأس السنة تعتبر أوقاتاً سعيدة جداً لبعض الناس، إلا أن الخيول وسائقي انحناطير لا يرون ذلك . فعليهم أن يعملوا ساعات طوال لأنه يكون هناك العديد من الحفلات التي تنتهى فى وقت متأخر من الليل . وليس من المستغرب أن ينتظر السائق والحصان لساعات تحت المطر المنهمر أو البرد القارس فى انتظار الناس حتى ينتهوا من إحتفالاتهم .

كان لدينا الكثير من العمل فى أسبوع الكريسماس بينما لم يكن جبرى على مايرام ؛ فقد أصيب بسعال شديد . كانت بولى قلقة بشأن حالته الصحية فكانت دائماً تنتظر عودتنا للبيت مهما تأخرنا .





فى الساعة التاسعة من مساء ليلة رأس السنة كان علينا أن نأخذ رجلين محترمين يبدو عليهما حسن المظهر إلى منزل فى أحد ميادين المدينة. قال الرجلان أننا يجب أن نعود لنصطحبهما فى الساعة الحادية عشرة، لكن لأنهما مدعوان إلى حفل فقد يتأخرا بضع دقائق وعلينا أن ننتظرهما.

وعندما دقت الساعة الحادية عشرة كنا بالبواب. وكنا نسمع دقات الساعة كل خمس عشرة دقيقة حتى منتصف الليل، لكنهما لم يخرججا بعد.

هبّت ربح باردة وتساقط الثلج على وجوهنا فنزل جبرى من العربة وجذب بطانيتى لتغطى عنقى. لم يكن هناك مكان نلوذ به من الرياح الثلجية ولا من البرد الشديد والمطر، وأصبح جبرى الآن يسعل إلى درجة سيئة.

أخيرا خرج الرجلان من المنزل فى حوالى الواحدة والربع، وبعد أن أخبرا جبرى بوجهتهما ركبا العربة. كنت أخشى أننى قد أسقط لأننى لم أكن أشعر بسيقانى من شدة البرد، لكننا وصلنا إلى المكان الذى نقصده بأمان. لم يعتذر هذان الرجلان عن أنهما تركانا ننتظر، بل فى الواقع كانا فى غاية الضيق لأنهما اضطررا لدفع المزيد من النقود لجبرى مقابل الانتظار الطويل.



كان جبرى بالكاد قادرا على الكلام عندما وصلنا إلى البيت وأصبح سعاله أسوأ كثيرا. رأيت أن بولى كانت شديدة القلق عليه لكنها لم تقل شيئا. وعلى الرغم من أن جبرى كان متعبا جدا إلا أنه مسح جسمى وأعطانى بعض الطعام الدافئ وأراحنى قدر ما استطاع.

وعندما طلع الصباح، كان ابن جبرى هو الذى جاء إلى الاسطبل وقام بتنظيفنا وإطعامنا. وكان بمقدورى أن استشعر أن هناك شيئا مالىس على مايرام لأنه كان صامتا تماما. ثم جاءت بولى إلى الاسطبل فى وقت متأخر من ذلك اليوم وكانت تبكى وهى تتحدث إلى أولادها. سمعتها تقول أن جبرى مريض بدرجة خطيرة وأنه من المحتمل أن يموت.

كنا ننتظر أخباره بقلق، وبعد مضى أسبوع سمعت بولى تقول ان جبرى قد تخطى مرحلة الخطر. وبمرور الأيام تحسنت صحة جبرى لكن الطبيب قال له أنه من المستحيل أن يعود للعمل على الحنطور مرة ثانية. بعد هذا مباشرة وصل خطاب لجبرى وبولى من صديقة عزيزة تعيش فى الريف. لقد كتبت تقول انه يمكنهما الحصول على كوخ خال بالقرب من بيتها، وأنه يمكن لجبرى أن يعمل حوذا لديها. كما أن الأولاد سوف يذهبون إلى المدرسة القريبة.

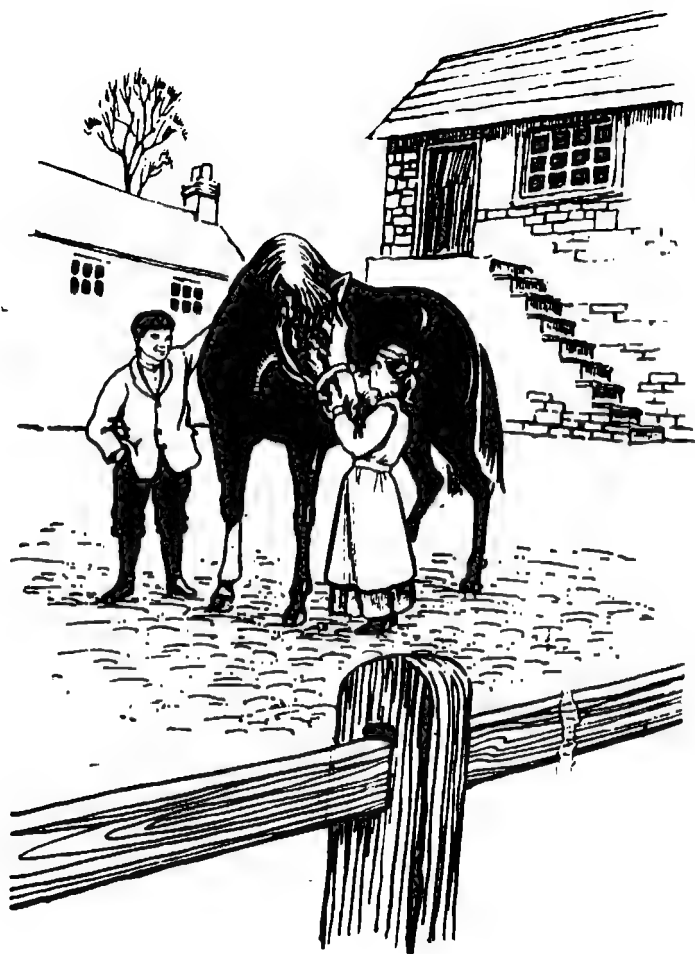


بعد أن تحدثنا فى الأمر قليلا، قررا أنهما يجب أن ينتقلا إلى الريف بمجرد أن يصبح جبرى بحالة تسمح له بالانتقال. وأن العربة والخير يجب أن تباع بأسرع مايمكن.

كنت حزينا جدا لسماع هذا الخبر لأننى كنت أحب بيتى وسيدى. اننى أتقدم فى العمر، وعلى الرغم من أنه كان من الصعب على أن أصبح حصان حنطور إلا أننى كنت أعلم أننى أجدت عملى.

لم يتركنى جبرى لأباع للعمل على الحناطير. لكنه قرر ذهابى مع صديق عزيز من أصدقائه ليجد بيتا جديدا لى.

وعندما حل وقت رحيلى لم أرجبى لأنه لم يكن مسموحا له بالخروج بعد. لكن بوللى جاءت مع الأطفال لوداعى، وهمست بكلمات رقيقة وهى تربت على. قالت أنها كانت تتمنى أن أذهب معهم ثم بعد دقائق قليلة أحاطت عنقى بذراعيها وقبلتنى. بينما اقتادونى إلى بيتى الجديد كنت مازلت أشعر بلمستها الحانية.

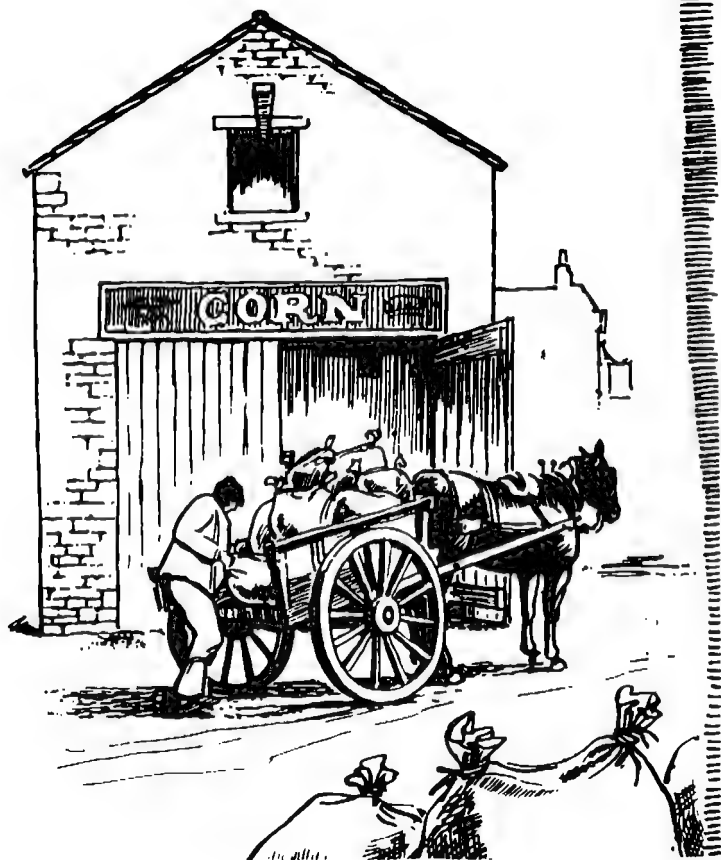


الفصل السادس والعشرون

أحمال ثقيلة؛ وأزداد وهنا وضعفا

كان سيدى الجديد خبازا وتاجر ذرة يعرفه جبرى وكان يعتقد أننى سأحظى ببيت مريح وأن عملى لن يكون شاقا. كان من الممكن أن يكون الحال كذلك، لكن للأسف لم يكن سيدى الجديد موجودا طوال الوقت ليراقب رجاله. كان رئيس العمال بالاسطبل دائم الصراخ مندفعاً ويجبر الجميع أن يعملوا بمزيد من الجد والسرعة. فى كثير من الأوقات كان يحملنى بأحمال ثقيلة ليس من السهل على أن أجرها بيسر. أخبره جيكس بأن هذا كثير بالنسبة لى لكنه لم يأخذ كلام جيكس فى اعتباره لأنه مجرد عامل.

تحتم على أن أرتدى اللجام الكابح مرة أخرى فى هذه الوظيفة الجديدة وبدأت أفقد قوتى بعد حوالى أربعة شهور.



ذات يوم حملت بأنفال أكثر من المعتاد، وكنا على طريق به مرتفعات شديدة الانحدار. جذبت العربة بكل قوتي وأنا أحاول ارتفاع الثل لكنه كان من المستحيل وكان لابد لى أن أستريح. غضب جيكنس وبدأ يصرخ.

صاح جيكنس: «واصل السير، تقدم، أنت أيها الحصان الكسول، وإلا ضريتك بسوطى!»

ثم بدأ يضربنى. مرة بعد أخرى كنت أشعر بضربة السوط الحادة تمزق لحمى الرقيق، وفى اللحظة التى بدأت أفكر فيها أننى لم أعد أحتمل ذلك بعد الآن، قال صوت امرأة:

«توقف عن ذلك فوراً أرجوك! لاتؤذ حصانك الرائع مرة أخرى. ألا ترى أنه يبذل قصارى جهده من أجلك؟ أنه لا يستطيع استغلال كل وزنه مقابل الزمام بينما يضع هذا اللجام الكابح،

لحسن حظى، عمل جيكنس بنصيحة السيدة العجوز وحل زمامى. الآن وقد أصبح من الممكن أن أحرك رأسى لأسفل استخدم كل قوتي وبشدة واحدة قوية، نجحت أن أجذب الحمل لأعلى قمة الثل.

ثم عبرت المرأة العجوز الطريق وجاءت إلى، وريبت على وجهى وعنقنى فكان جميلاً أن ألقى معاملة طيبة مرة أخرى.





وقالت لجيكس أنه لا يجب أبدا أن ينسى كم هو عسير على
حصان أن يجر مثل هذا الحمل الثقيل لأعلى التل وهو يضع
اللجام الكابح ولا ينبغي عليه أن يستخدمه أبدا بعد الآن. أو ما
لها جيكس ومنذ ذلك اليوم كان دائما يضع لى اللجام الرخو.
لكن أحمالي كانت مازال ثقيلة بالنسبة لى وقد أصبحت أكثر
ضعفا بمرور الأيام.

وبعد انتهاء عملى اليومى كنت أوضع فى اسطبل لا يدخله
ضوء النهار وهو مادمر بصرى تقريبا. وكنت أزداد بؤسا وبأسا
كل يوم.

الفصل السابع والعشرون

بؤس ومعاناة فوق الاحتمال

كلما ازددت اكتئابا كلما تدهورت صحتى وقوتى، ولم يمض وقت طويل حتى باعنى سيدى مرة أخرى. فقد أصبحت ضعيفا جدا للقيام بنصيبي من العمل الشاق.

كان سيدى الجديد صاحب عربات حنطور. كان رجلا فظا اسمه نيكولاس سكينر. وكانت ترسم على وجهه نظرة شريرة، وله أنف معقوف وعينان سودوان وفمه ملتو غير مبسم. عندما تكلم كان صوته فظا عاليا.

يقول الناس عادة ان النظر لا يكذب، لكن بالنسبة للحصان فانه يجب أن يكون الاحساس لا يكذب.

حتى هذا الوقت فى حياتى لم أكن قد عرفت مدى البؤس الشديد والمعاناة التى يكون على حصان الحنطور أن يحتملها.



كان نيكولاس سكينر مالكا للعديد من العربات القديمة
التي يسوقها رجال فى غاية البؤس . كان الرجال قساة مع
الخيول لأن سكينر كان قاسيا معهم . كانوا يجعلوننا نعمل كل
يوم فى شمس الصيف الحارقة ولم تكن هناك راحة يوم
الأحد .

وبين الحين والآخر كان بعض الرجال يأتون صباح يوم
الأحد وكان على أن أصحبهم فى جولة فى الريف . وكانوا
دائما يقولون للسائق أن يجعلنى أعدو صعودا وهبوطا على
التلال المنحدرة بأقصى ما أستطيع من سرعة . فى نهاية تلك
الجولات كنت دائما أشعر بارهاق شديد لدرجة أننى لأستطيع
أن أكل بل ألتقط بعض الطعام فحسب ، كم تمنيت لو أن
جبرى كان موجودا ليعطينى بعض النخالة المجروشة اللذيذة !
وفكرت أيضا كيف أن عملى سوف يصبح أسهل كثيرا إذا
حظيت براحة يوم الأحد . لكن لم تكن هناك أيام راحة ولا
طعام مغذ فى هذا المكان .

كان لادى سائق قاس مثل سكينر تماما . فكان دائما يجعلنى
أنزف دما عندما يضربنى بسوطه الآثم وأحيانا كان يضرب
رأسى وينقرنى بالسوط أسفل بطنى . مثل هذه المعاملة
جعلتنى أشعر أن الحياة لاتستحق أن أعيشها . تذكرت أيامى



مع جبرى وأسرته وكنت أفقد رعايتهم الرقيقة وعطفهم.
لكن فى هذا المكان، لم يكن هناك أحديهم بمشاعرى بل كانوا
يعاملوننى كما لو كنت آلة.

وأصبحت حياتى فى غاية البؤس لدرجة أننى كنت كثيرا
ما أتذكر المسكينة جينجر، وتمنيت أنا أيضا الموت، وهو ماكاد
أن يتحقق.

وفى هذا اليوم بالذات بذأت عملى فى الثامنة صباحا.
كنت قد قمت بعدة رحلات عندما طلب رجل أن نصحبه إلى
محطة السكة الحديد.. أو صلاناه إلى المحطة فى وقت مناسب
لموعد القطار ثم انتظرنا هناك لأن سائقى كان يعتقد أننا
يمكننا الحصول على مزيد من العمل.

بعد لحظات جاءت إلينا أسرة من أربعة أفراد؛ كانوا
يريدون الذهاب إلى المدينة بكل امتعتهم الثقيلة. بينما كان
الأب يحمل الأمتعة على العربة أتت فتاة صغيرة نحوى ثم
نادت:

«أبى، تعال وانظر إلى هذا الحصان المسكين. أنه يبدو
متهالكا وأنا واثقة من أنه أضعف من أن يأخذنا نحن وكل
أمتعتنا،





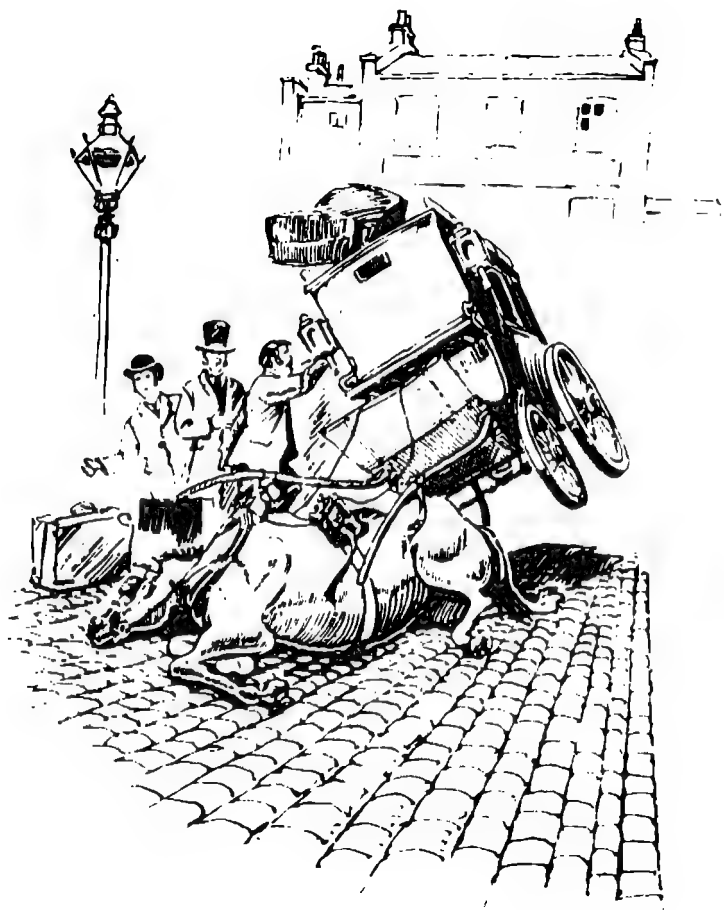
قال سائقى: «انه أقوى كثيرا مما يبدو، لاتزعجى نفسك
بشأنه يآنسة،

تردد والد الفتاة، لكن سائقى كان متلهفا للحصول على
الأجرة فبدأ يحمل العربية بالحقائب الثقيلة أولا ثم كدس المزيد
من الحقائب حتى أنهكت مشدات العربية .

كنت قد خرجت للعمل منذ وقت مبكر من ذاك الصباح
ولم أسترح أو أكل شيئا لكننى حاولت أقصى ما فى وسعى
لأجر هذا الحمل الثقيل على الرغم من كل مافعله البشر بى
من آثام .

كنت أعمل بمستوى مقبول إلى حد كبير حتى وصلنا إلى
نن منحدر فكان ذلك صعبا عنى . كنت مجهدا لكننى كنت
أقاوم لأستمر فى السير بينما كان سائقى يضربنى بسوطه
القاسى . فجأة، شعرت أن قدامى تنزلق تحتى وسقطت على
لأرض . لقد خارت كل قواى ورفدت بلا حراك . ظننت أننى
سوف أموت . كان هناك ضجيج وفوضى حولى وكان
باستطاعتى أن أسمع أصواتا غاضبة بينما يفرغون العربية .
وسمعت طفلا يقول :

«أنه خطونا نحن ! ذلك الحصان المسكين ! ماذا فعلنا به ؟»



بدا ذلك كله كالحلم . لكننى كنت أشعر بشخص ما يحل
سرجى ولجامى . ثم قال صوت :

«أعتقد أنه مات، ولن يقوم ثانية، كنت ألهمت لأنتفس ولم
أفتح عينى، لكننى سمعت شرطيا يخبر الآخرين بما يفعلونه .

صب شخص بعض السوائل فى حلقى بينما قام آخر برش
الماء على رأسى ثم فردوا على بطانية وأنا راقد على أرض
الشارع الباردة الصلبة .

وبعد فترة بدأت أفيق . كان هناك رجل بجانبى يطيب
خاطرى ويشجعنى على النهوض . حاولت مرة أو مرتين ثم
تحاملت على أقدامى ووقفت أرتجف . عندما أصبحت أكثر
ثباتا أخذونى إلى اسطبل قريب لأستريح وأكل بعض الطعام
الداقى .

فى هذا المساء كنت بحالة تسمح لى بالعودة إلى اسطبلات
سكينر، الذى جاء فى الصباح التالى ليرانى .

قال سكينر: «هذا الحصان قد انتهى . انه يحتاج إلى ستة
شهور راحة حتى يستطيع العمل مرة أخرى . لكننى لن أضيع
الوقت والمال على حصان مريض . سوف أبيعه لأعلى ثمن،



قدموا لى طعاما وفيرا واسترحت لمدة عشرة أيام . فقد كان
مستر سكينر يريدنى أن أبذل فى أفضل حالاتى فى سوق
الخيول .

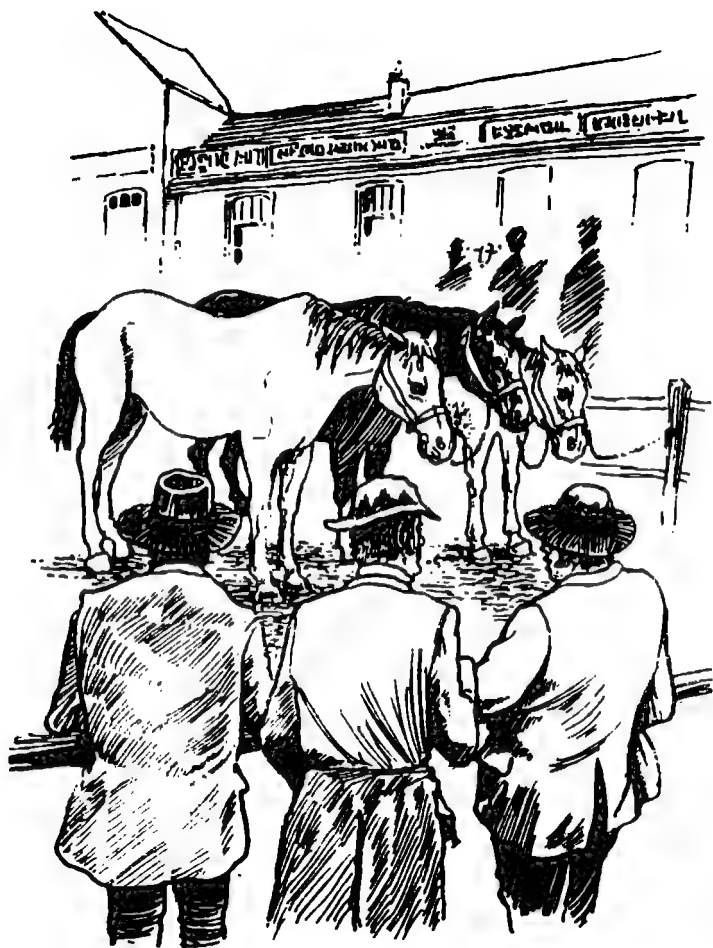
• •

الفصل الثامن والعشرون

المزارع ثور وجود وحفيدة ينقذانى

فى السوق، وضعت بين الكثير من الخيول المريضة الأخرى. كان بعضها كبيرا فى السن فحسب، بينما كان البعض الآخر يعرج أو مقطوع النفس. وكان البعض فى حالة سيئة للغاية حتى أنه قد يكون أرحم به أن يضرب بالرصاص.

كان هناك حشد من الباعة والمشتريين الفقراء. وكان البعض يحاول أن يجد مشتريين لحيواناتهم المتهالكة، والبعض يحاول أن يشتري حصانا أو ميسى تقريبا بلائمن. كان هؤلاء رجال قساة، قسى عليهم الزمن فأصبحوا قساة! شعرت بالخوف وكم تمنيت أن أسمع صوتا ودودا مرة أخرى.



وعندما نظرت حولي رأيت صبيا يقف بجوار رجل يبدو أنه مزارع. كانت أكتاف الرجل محنية، لكن ظهره كان عريضا، ويرتدى قبعة كبيرة. كان له وجه طيب. ورأيت عينيه تلمعان عندما رآني. رفعت رأسي ونصبت أذني وأنا أنظر إليه.

قال المزارع: «اسمع ياويلي، انني أستطيع أن أقول ياولدي أن هذا الحصان عاش أياما أفضل. لابد أنه كان شيئا خاصا جدا في شبابه،

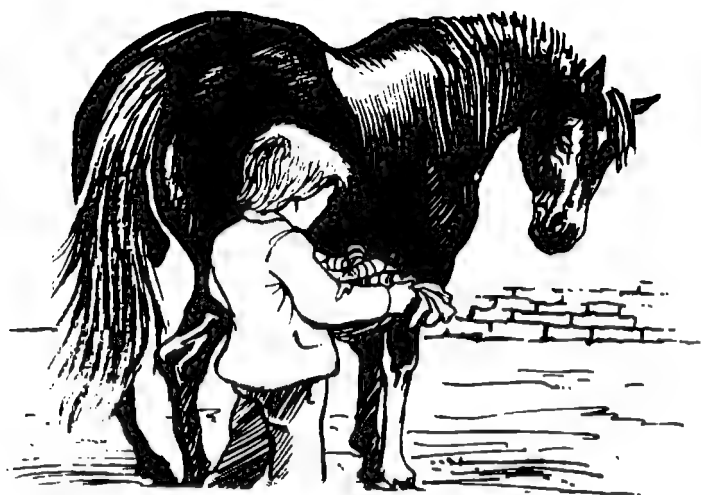
ربت على عنقي بعطف ورقة، فمددت أنفي نحوه. مسح الصبي وجهي وقال:

«أنظر يا جدى، أنت ترى أن العجوز المسكين يفهم العطف. لقد أعدت إلى ليدي بيرد شبابها وبمقدورك أن تفعل نفس الشيء معه. أرجوك قل أنك سوف تشتريه.»

رد الجد: «ليدي بيرد لم تكن كبيرة، لقد أساء استخدامها وكانت على وشك التدهور.»

لكن الصبي أصر على رأيه وقال ربما لا أكون عجوزا أنا أيضا، وربما أننى مجهد فقط وكل ما أحتاج إليه فترة راحة طويلة.





ابتسم المزارع للصبي ومر بيده على سيقاني ليفحص حالتها.
كانت سيقاني مائزال متعبة ومتورمة. ثم نظر إلى أسناني
فأدرك أنني لم أكن عجوزا. وتم بيعى فى مقابل مبلغ ضئيل
من النقود واقتادنى الصبى وجده خارج السوق.

كان جد ولى مزارعا يدعى مستر ثروجود. قال ان ولى
سيتولى رعايتى. كان يأتينى بالشوفان والتبن كل صباح
ومساء، وأثناء النهار يأخذنى إلى الحقل حيث تنمو الحشائش
النضرة. وكان ولى يعطينى الجزر ويقضى ساعات بجانبى
يربت على ويمسح جسمى.

بدأت أنتحسن. شفيت سيقانى وفى منتصف الربيع كنت قادرا
أن أصحب ولى ومستر ثروجود إلى البلدة فى عربتهم
الأنيقة. كانا سعيدين وفخورين بى، وتحدثا عن مستقبلى وأنه
ينبغى أن يجدا بيتا ملائما لى حيث أكون دائما محل حب
وتقدير.

الفصل التاسع والعشرون

البيت السعيد

حل الصيف، وذات يوم بذل السانس مزيدا من العناية وهو
ينظفنى ويمشطنى . كان جلادى يلمع فى ضوء الشمس وكنت
أعرف أننى أبدو فى أفضل حالاتى . وشعرت أن حياتى
توشك أن تتغير. كان ولى يتكلم بحماس عندما ركب هو
وجده العربة فقال :

«أنا متأكد أن السيدات سوف يعجبين به، وإذا حدث ذلك
سوف يكن سعيدات وكذلك سوف يكون هذا الحصان الشجاع
سعيدا أيضا،

بعد أن قطعنا حوالى ميلين وصلنا إلى منزل صغير بجوار
بعض الأشجار. قفز ولى من العربة ودق الجرس. انفتح



الباب وخرجت ثلاث سيدات. كن مبتسمات وبدا عليهن الابتهاج لرؤيتي. قالت إحدى السيدات بمجرد أن رأنتي أنها شديدة الاعجاب بى. كان اسمها الانسة إلين. سألت الكثير من الأسئلة عنى وأخبرهن مستر ثروجود بكل شىء عن سوء المعاملة والعمل الشاق الذى عانيته. وقال اننى الآن فى حالة ممتازة وأن كل ماأحتاج إليه هو بيت أعامل فيه بحب وعطف. تحدثوا فى أمرى ثم قررت السيدات أن أبقي لفترة تجريبية ليرين كيف تسير الأمور. احتضنى ولى وجده وريتنا على وهما يودعاننى،

أخذونى إلى الاسطبل الجديد وقدموا لى بعض الطعام الدافىء. وجاء سائس وقف بجانبى وحملق فى.

قال السائس: «كان لدى بلاك بيوتى غرة على وجهه مثلك أيها الرفيق العجوز، وكان فى نفس ارتفاعك،

كانت هناك علامة فى عنقى من أثر حقنة كنت قد أخذتها منذ عدة سنوات مضت. عندما رأى ذلك بدأ يتمتم لنفسه فى دهشة:

«الغرة الببيضاء على الوجه، والبقعة الببيضاء على الظهر واحدى الأقدام. لا بد وأنت بلاك بيوتى! أنا جو جرين. هل





تذكر ذلك الصبى الذى كاد يقتلك منذ سنوات عندما نسى أن
يغطيك بالبطانية فى تلك الليلة القارسة البرودة؟

احتضننى جو وريت على وشعرت بأمان وسعادة فلمست
وجنته بأنفى لأعبر عن أننا أصدقاء. كان جو فى غاية
الابتهاج.

بعد ذلك كنا نخرج كل يوم تقريبا لأن الآنسة الين وأختيها
أحبين ركوب العربة معى. اننى فى هذا المكان الرائع منذ
عام الآن، وإن جو هو أفضل سائس عرفته أبدا وأكثر من اهتم
بشئونى. كان ويلي وجدّه يأتيان كثيرا للاطمئنان على وقد
وعدت الأخوات الثلاث أننى لن أباع أبدا. انتهت كل متاعبى
وأخيرا أصبحت فى بيتى.

تمت.

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET